رحلة

سمو الامير محمد على باشا

فى

جنوب افريقيا

سنة ١٣٤٢ هـ — سنة ١٩٢٤ م

بقلم احمد مختار

مطبعة الاعتماد بمصر

رحلة

سمو الامير محمد على باشا

فى

جنوب افريقيا

سنة ١٣٤٢ هـ — سنة ١٩٢٤ م

بقلم احمد مختار

مطبعة الاعتماد

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وجب حمده فى السراء والضراء كما وجبت طاعته فى الشدة والرخاء تعالى وحده عن نقد ناقد فيما ابتدع منزه لا اعتراض عليه فيما صنع خلق الاضداد لحكمة بالغة وسير الأكوان بقوة باهرة وسع ملكوته الغث والثمين كما وسعت رحمته المارق والأمين تجلى جلال خلقه لاولى البصائر وشهد بحق تقديسه أولو الفهم والضمائر فله المنة على ما أولانا من خير النعم واليه دوام الالتجاء من شر النقم فنسأله بقلب صادق ونضرع اليه بجنان ناطق حيث وعدنا من فضله بالاستجابة وكتب على نفسه الرحمة والانابة نسأله أن يسد[illegible]فيق خطانا وان يبعث من أمتنا سباقين للخير اعوانا وان ينقى قلوبنا من رجس الحقد والبغضاء لتسود بيننا المحبة والصفاء ففى ظل السلام والامان يبزغ نور الحكمة والعرفان وتنشط الامم بالجد والاجتهاد وتزكو العقول فتفيض بمكنون العلوم وتجود القرائح بسحر الفنون هنالك تقر الاعين وتطيب الانفس برؤية عروس المدنية الحقة التى لا تبسم وتحيا الا تحت سماء الفضيلة والسلام وان حلت بأرض أصبح ترابها تبرا وطينها نضارا وان أشرقت فى أمة أمسى أهلها أبرارا فلتحقيق هذا الامل يعمل العاملون الذين يحبون وطنهم لا يبتغون منه أجرا ولا من الناس جزاء بل ابتغاء مرضاة الله وهم يخشونه ويخلصون اليه ويرجون المثوبة عند الله فهى خير وأبقى

فاللهم اكتب لامتنا السعادة وأربأ بها عن ذل الشقاوة وثبت أقدامنا فى الجد والاجتهاد لنفع العباد اقتداء برسول الهدى ونبى الحكمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى جميع رسل الله المكرمين وانبيائه الصادقين

و بعد فقد تسنى لى منذ الصغر الاقامة والتجوال فى بعض البلدان الاجنبية مما ضاعف ميلى الى رؤية الاقطار البعيدة والاطلاع على أحوال أهلها فقمت برحلات كثيرة فى أوروبا وآسيا وشمال أمريكا ونشرت عنها فى حينه مايجدى ذكره من غريب تجدر معرفته ونافع ترجى فائدته رغبة منى فى ضم هذا المجهود الى المجهودات الصادقة التى تبذل فى سبيل ترقية بلادنا العزيزة باقتباس أنجح الوسائل والاخذ باسباب التقدم الحديث مع المقارنة الدقيقة باحوال الامم فى العصور السالفة والنظر الى تطور الحياة العالمية باختلاف الظروف وتباين الافكار والعادات فى مختلف الشعوب والأصقاع وعسى أن يكون فيما قصدته من نشر مذكرات سياحاتى فائدة لمحبى الاطلاع من ابناء وطنى الذين لا تسمح الظروف لبعضهم بالاسفار البعيدة وبذلك تكون لديهم على الاقل صورة حقيقية لما شاهدت ورواية صحيحة لا يشوبهما غرض لمغرض فيما نقلت والله يوفقنا لما فيه الخير والنجاح

رحلتى فى جنوب افريقيا

بدأتُ رحلتى الى أقطار جنوب أفريقيـا فى يوم الأحد الموافق ٦ ابريل سنة ١٩٢٤ ميلادية من ميناء بور سعيد حيث بعد ذهاب الخدم مع الامتعة السـفرية قصدت الباخرة فى الساعة العاشرة والدقيقة خمسة واربعين صباحاً على لانش « زورق بمحرك » تابع لشركة القنال قدمه لى مسيو شايبر وكان معى من المودعين صلاح الدين بك فيضى وباهر بك صدقى وأخذ باقى أصحابنا لانش آخر تابع لشركة كوك ولمـا صعدنا جميعاً الى ظهر الباخرة وجدناها مزدحمة بالسائحين والزائرين ، وطائفة من باعة بورسعيد جعلوا سطح الباخرة سوقاً للبيع وقد أدهشنى وجود كثير من الهنود الذين يدعون علم الغيب «فتح البخت» ، وعند الظهر تماماً ودعنا اخواننا الذين رافقونا من القاهرة الى بور سعيد ليرجعوا بقطار الساعة الثانية عشر ونصف ، وفى الساعة الواحدة بعد الظهر تماماً تحركت الباخرة وقد وجهنا الى العناية الالهية رجاء السلامة فى سفرنا الطويل .

ان باخرتنا هى من بواخر « يونيون كاسل » وتسمى « نورمان » وهى قديمة انشئت منذ ثلاثين سنة ، وغرف النوم بها ضيقة وجهازها من الطراز القديم وتبلغ حمولتها ٧٦٠٠ طن وهى سريعة السـير غاصة بالسواح وأغلبهم من موظفى الحكومة الانجليزية بأواسط أفريقيا

وقد رأينا بقائمة « جدول » مطبوع بها اسماء المسافرين والموانى التى ينزلون فيها ان من ١٧٤ من مسافرى الدرجة الاولى ١١٣ ينزلون فى ممباسا . أغلب السواح انكليزيون ما عدانا وفرنساويان يظهر من لهجة أحدهما وملامحه أنه من أهالى مرسيليا الذين يبالغون فى القول ويثيرون الضحك فى المجون والهزل . كان مع هؤلاء الموظفين نساؤهم ، وأولادهم الذين نراهم بكثرة على سطح الباخرة يلعبون ويصيحون فترتفع منهم غاغة وضوضاء مقلقة ومن العجيب أن هؤلاء الصبية الظرفاء يصرخون ويتضاربون من أجل لعبة أو برتقالة يأخذها أحدهم من الآخر ولقد ذكرنى هذا المنظر بأن الغيرة الانسانية وتنازع بنى البشر يظهران فى الانسان من عهد الحداثة والصغر كما أن من الصفات الفطرية تشبث المسلوب الشيء فى استرداد ما سلب منه وان الانسان ليأبى بكل شعوره وقوته أن يبيت على حق مهضوم أو أن يغلب على أمره .

الطعام فى الباخرة لا بأس به (ويدعى الى تناوله بنداء بوق كما هو الحال فى الجندية) ومع صغر الباخرة يوجد بها طقم موسيقى وترية تصدح بنغماتها أربع مرات فى اليوم .

كان سيرنا فى القنال بطيئاً بسرعة ما هو مقرر للسير فيه ولذلك لم نصل الى الاسماعيلية إلا فى الساعة السابعة مساء وخلافا لما كنا نتوقعه من حرارة الجو شعرنا برطوبة اضطرتنى الى ارتداء المعطف ، تقابلنا بعد الظهر أثناء سيرنا بالقنال بباخرة كبيرة تابعة لشركة P. N. O.

اسمها «Kaiser I. Hind» ذات طبقات خمس وكانت قبل الحرب الدولية الاخيرة تابعة للشركة الالمانية «N. D. L.» ، وفى الساعة السابعة و نصف مساء أمام الاسماعيلية نزل « Pilot » العامل الدليل فى زورق وجاء آخر بدلا منه ليوصلنا الى السويس وفى الساعة السادسة من صباح اليوم التالى وصلنا ميناء السويس حيث غادرناها فى الساعة السابعة صباحاً فابتدأنا نلج البحر الاحمر وليس به شيء من اللون الاحمر بل بالعكس كان البحر والسماء زرقاوين والآن نمر فى خليج السويس بين شاطئين من الجبال العارية من الاشجار والنبات وهى أشبه شيء بجبال شواطئ الأناضول وبلاد اليونان فى فصل الصيف وليست هى سلسلة متواصلة الارتفاع على طول امتدادها لكنها متقطعة وفى هذا اليوم كان البحر مرحباً بجماله والهواء منعشاً بخفيف نسيمه وقد مرت بنا عدة مراكب محملة بالبضائع ومضى هذا اليوم ومَن على الباخرة من كبار وصغار يلعبون الالعاب البدنية والرياضية وقبل الغروب بساعة غاب عن نظرنا الشاطئ الشرقى وصرنا على مقربة من الشاطئ الغربى للبحر الأحمر وهو شاطئ مصر وكنا نرى فى الليل الفنارات المتعددة التى لها أكبر فضل على الملاحة مما يوجب الثناء على الحكومة المصرية .

فى اليوم الثامن من الشهر عند قيامى من النوم صباحاً وجدت الجو حاراً رطباً ينبئ بحر هذا اليوم فأمرت خادمى أن يعد لى أخف الملبوسات ولكن عند صعودى على سطح الباخرة وجدت هواء معتدلا ونسيماً عليلا دام طول اليوم من جهة الشمال الغربى وفى الساعة

الحادية عشر صباحاً مررنا بمنار فى وسط البحر على نقطة ليست
عميقة يدعونى جمال منظرها لذكر وصفها وهذه البقعة تبلغ مساحتها
نحو المساية فدان تقريباً واقعة فى وسط البحر وكان لونه شديد الزرقة،
كلما تعدو الامواج على جوانب تلك البقعة تتكسر وترسم خطاً أبيضاً
من زبد الامواج حول تلك البقعة ذات اللون الاخضر الفاتح وهى من
بعد كأنها أرض تكسوها الخضرة الجميلة . وبعد ذلك كنا فى وسط
البحر لا نرى شيئاً من الشواطئ وفى المساء بعد طعام العشاء كان
الركاب يرقصون على ظهر الباخرة عادتهم كل ليلة ، وفى هذه الليلة
صرح ربان الباخرة للمسافرين بالنوم على سطحها فى العراء لمن يرغب
ذلك لشدة الحر ولقلة الهواء فى غرف النوم بالطابق الأدنى فخصص
الجانب الأيمن من سطحها للرجال والجانب الأيسر للسيدات . فى
صبيحة اليوم التاسع من شهر ابريل كان الجو صفواً جميلا وفى الساعة
الحادية عشر مررنا بفنار وسط البحر يشبه ذلك الذى مررنا به وفى
الساعة الثانية بعد الظهر دخلنا ميناء بورسودان التى يدل بناؤها ونظافتها
وترتيبها على أنها أنشئت حديثاً ولما لم يكن لباخرتنا محل بجانب
الرصيف لكثرة المراكب والبواخر الاخرى القينا المراسى فى وسط
الميناء ، وضمن هذه السفن اثنتان تحملان فحماً من بلاد الناتال بجنوب
أفريقيا وكان أمامنا على الشاطئ بناء كبير عليه علمان احدهما مصرى
والآخر انجليزى وقد فهمنا أنه دار المحافظة ولو أن العلم المصرى لم يكن
ذلك العلم الجديد الاخضر اللون بل لا يزال هو العلم الاحمر القديم

الا أن ذلك كان داعياً لسروري اذ يرى الانسان أن العلم المصري لا يزال يخفق في السودان جعله الله دائماً قائماً. بجوار هذه المباني فندق وبناء آخر أعد للتلغراف الانكليزي وعلى مقربة منه تلغراف لاسلكي تابع لحكومة السودان وعدة دور أخرى للشركات والمصارف المالية والصحة والكورنتينات. تجمعت حول الباخرة جملة زوارق نظيفة بحارتها من السود ووقفوا بزوارقهم على مسافة قصيرة من الباخرة وبشكل منتظم دون صياح أو تزاحم لنقل الركاب — خلاف الحالة في الموانى الاخرى — فكانوا ينتظرون الطلب بالامر وبعد الاجراءات الصحية المعتادة ومجيء البوليس الى الباخرة تصرح بالنزول لمن يرغب وقد نزل بهذه المرفأ احد عشر مسافراً ضمنهم ثلاث سيدات من المبشرات وفرنساويان يقصدون بلاد الكنجو الى مابعد خط الاستواء والباقون موظفون بحكومة السودان، وبعد أن غادرنا هؤلاء ذهب بعض السواح لاستطلاع البلدة وللتنزه وقد شاهدنا بالميناء عدة زوارق « بالموتور » وأخرى شراعية للسباق وهي في الغالب تابعة للموظفين الانكليز. — عند غروب الشمس جاء صاحب الفندق ودعا السائحين للرقص بعد العشاء في فندقه.

في صباح اليوم العاشر غادرت سفينة هولاندية الميناء فخلا جزء من الرصيف رست به باخرتنا وجاء على سطحها رئيس عَمَلة من السواحلية معه نحو ثلاثين رجل بعضهم زنوج وبعضهم سواحلية لتفريغ البضائع من عنابر الباخرة بواسطة الآلات الرافعة « ونش كهربائي كبير »

كالتى بأوروبا وكان هؤلاء الرجال أثناء عملهم يصيحون ويغنون ويرقصون ولاحظت أنهم أقل بكثير فى القوة البدنية والنشاط من الفلاح أو العامل المصرى من أهالى الوجه القبلى وهم كباقى الزنوج يشبهون الصبية والأولاد فى أخلاقهم وهذه النفسية تظهر فى عملهم اذ تجدهم كلما افرغوا جزءاً صغيراً من البضاعة أظهروا فرحاً شديداً بغنائهم وجلبتهم كأنهم قاموا بعمل عظيم وهكذا كان يضيع الوقت ونحن ننتظر انتهاء تفريغهم لنتخلص من حرارة تلك الجهة. يوجد على رصيف الميناء كميات كبيرة من البضائع عدا الموجود بالمخازن الكبيرة والتى تبلغ نحو عشرة، وقطارات السكة الحديدية فى حركة ذهاب واياب. أفرغت باخرتنا كمية كبيرة من المواسير الحديدية والمسامير والآلات المتنوعة الكثيرة وكان ظاهراً أنها مرسولة الى الاعمال الجارية بخزانات مكوار التى طالما سمعنا بها. جاء على الرصيف أمام سلم الباخرة ثلاثة من الباعة ووضعوا أمامهم مامعهم من عقود سن الفيل للسيدات ومصنوعات أخرى من سكاكين وسيوف من صنع السودان فاشترى بعض السواح من هذه المصنوعات وكان يوجد أيضاً مع أحدهم غزال صغير ومع آخر قطع مرجان وعلى الرصيف اناس مختلفو الأجناس من انكليز ومصريين وعرب وهنود وأحباش ويمانيين وزنوج ولا تنس الأروام أيضاً وكان على الرصيف جندى أسود من البوليس يفتش الأهالى عند صعودهم ونزولهم من الباخرة وقد لاحظت أن الشيالين الذين يحملون الاحمال الثقيلة هم من أهالى اليمن ومن الغريب أن أصواتهم

رفيعة تشبه صوت الأغاوات ويظهر أن الاهالى لايحصلون على غذاء كاف لما يلوح عليهم من ضعف البنية . وصلت الى الميناء هذا اليوم سفينة من الشركة الخديوية مملوءة بالسواحلية والعبيد . قد ظهر لنا من بطء سير العمل أن الباخرة ستتأخر عن موعد سفرها الى منتصف الليل فنزلنا فى الساعة الرابعة ونصف بعد الظهر مع ربان الباخرة الذى جاء معه موظف تابع للشركة للفسحة بالرفاص ومشاهدة الميناء بدعوة منهما وقد مررنا بكثير من «السانبوك» أى المراكب الشراعية لنقل المتاجر بالبحر الأحمر وكانت مشحونة بالقطن الوافد من طوكر واكثرها يحمل العلم الايطالى وقد أخبرنى موظف الشركة أن بالميناء ممعلا لعمل الاقمشة القطنية تابعا لحكومة السودان وقد أرسل فى العام الماضى الف طن من بذرة القطن الى مدينة هل بانجلترا لاستخراج الزيت ومن ذلك يعلم مقدار العمل وأهميته . رأينا بجهة من الميناء جزءا علمنا أنه جىء بغواص من انجلترا ليختبر عمق مياهه بجوار الساحل لمعرفة ما اذا كان عمقه يساعد على عمل رصيف لمرسى البواخر .
ان ميناء بورسودان واسعة ومعدة لتسع عددا من السفن الحربية ويبلغ عمق المياه تسعين قدما أى ثلاثين متراً وهذا يكفى لأى سفينة حربية الرسو فيها والدليل على ذلك أن هنالك فم كرديف الخاص للمراكب الحربية وهذا عدا فم النانال الذى تكلمنا عنه وهولوابورات السكك الحديدية وللبواخر العادية . وصلنا فى فسحتنا داخل الميناء الى كوبرى السكة الحديدية الذى يرفع من ناحية واحدة على شاكلة

كوبرى بولاق ومن هناك عدنا الى الرصيف لنمشى قليلا لرؤية البلدة فمررنا بمنزل الطبيب وبنك الانجلو اجيبسيان ودار المحجر الصحى وقد لاحظنا أن الاشجار والخضرة قليلة جداً لأنهم يجلبون الطينة الصالحة للزراعة من مسافات بعيدة وتشجيعاً لأيجاد الاشجار تعطى الحكومة مياها لريها دون مقابل وهذه المياه مستجلبة من مياه البحر بواسطة « الكندانسا » ولما بللنا العرق من شدة الحرارة ورطوبة الجو فضلنا العودة بالرفاص عن المسير والفسحة فمررنا بكثير من الزوارق عليها عدد من ركاب باخرتنا يلهون بصيد الاسماك الكثيرة فى هذه المياه وعند الغروب سكن الهواء وصعب التنفس حتى أننا لم نتمتع بالنوم تماماً فى هذه الليلة وفى الساعة الثالثة صباحاً سمعنا أول صفير من الباخرة يشعر بقيامها وقد غادرت الميناء فى الساعة الرابعة صباحاً أى متأخرة بأربع وعشرين ساعة عن موعد السفر بسبب بطء عمال الميناء وقد احتج القبطان على ذلك لان الباخرة ليست باخرة لنقل البضائع وانما هى خصيصة للمسافرين وللبريد ولها مواعيد معلومة فى الموانى التى تمر بها وليس لها أن ترتبط فى مواعيدها بسبب الشحن والتفريغ .

فى يوم ١١ ابريل كان يصعب التنفس داخل غرف الباخرة ولكن على ظهرها كان يقابلنا الهواء المنعش وذلك من سرعة السير ولم نر شيئاً طول يومنا بالبحر غير نوع الدرفيل الذى كان تارة يظهر وأخرى يغوص بجوارنا ، ولم يكن فى الباخرة رقص كعادتهم وانما أستعاضوه بحفلة كونسرت فى صالة الطعام فذهب أغلبهم لسماعه وذهبت للنوم فى

الساعة التاسعة مساء وكان الحر شـديداً جداً ولم استطع النوم حتى الساعة الواحدة بعد نصف الليل فخلعت ملابسى وأدرت مروحة الهواء غير مبال بما تسببه المروحة فى هذه الغرفة الصغيرة من ألم فى الرأس وفى يوم ١٢ ابريل عدلنا مواقيت الساعات وفق ساعة عدن وهى متقدمة ساعة زمنية عن الساعة بمصر وفى هـذا اليوم مرت بنا كثير من البواخر لقربنا من مضيق باب المندب وفى السـاعة الحادية عشر صباحاً مررنا بجزيرتين وفى الساعة الثانية بعد الظهر كنا أمام جملة جزائر صغيرة وكبيرة غير مسكونة وليس بها شىء سوى الفنارات وتسمى « Twelve Apostles » وقبل الغروب تقابلنـا بأربع بواخر متجهة الى الشمال وفى الساعة السابعة مساء مررنا بين جزيرتين ثم بدأت الريح تهب وتلطف الجو فقابلنا ذلك بسرور وانشراح لما صادفناه قبلا من شدة الحر المزهق . لا بد لى أن اذكر أيضاً أنه خلاف ما كان من لعب ورقص وتسلية بدنية ورياضية كل يوم كان يوجد بالسفينة قسيس انجليزى يعطى درسا يومياً فى اللغة السواحلية والسودانية المنتشرة فى غرب افريقيا وسواحلها فكان كثير من السيدات والرجال شيبا وشبابا يحضرون هذا الدرس وكل منهم يحمل كراسته للمذاكرة وبهذه الطريقة يستفيدون فى مدة شهر السفر ما يلزمهم من اللغة ليتيسر لهم التفاهم بها على قدر الضرورة فى هذه البلاد ولقـد أعجبنى ذلك منهم لأنهم عمليون يعملون لمنفعتهم وآسف لعدم اهتمام الشرقيين بمثل هذه

الصفات وقد مررنا هذه الليلة بجزيرة بيريم . فى نهار الاحد ١٣ ابريل استمر الهواء عليلا وفى الساعة الثامنة صباحاً أقام القسيس صلاة الكاثوليك فى الصالون وفى الساعة العاشرة ونصف دق الناقوس الكبير بالباخرة دق الكنائس فنزل السواح للصالون الكبير المعد للطعام وأقام قسيس آخر صلاة البروتستانت وبعد ذلك مر بجميع السائحين خادم يحمل صحناً لجمع نقود باسم الكنيسة .

قد أخرنا الهواء الشديد فى سيرنا ساعتين عن ميعاد وصولنا الى عدن التى وصلناها الساعة الثانية عشر والدقيقة ٤٥ ولا تكسو هذه السواحل أى خضرة إنما ترى رمالا صفراء وصخوراً سوداء ومدخل الميناء صعب لعدم العمق الكافى فكانت تسير الباخرة ببطء وكلما دار المحرك « الرفاص » اخرج الرمال من قاع البحر الى سطح الماء ، رسينا أمام ميناء عدن والبلدة مقامة على صخور سوداء ووراؤها ثلاث قمم جبلية بركانية قديمة ويبلغ سكان مدينة عدن نحو أربع واربعين الف نسمة ومساحتها ٨٣ ميل مربع وبها خط سكة حديدية صغيرة توصل لبلدة اسمها لحج على مسافة ٢٥ ميل والى بلدة أخرى تسمى هابيل على مسافة ٣٠ ميل وهذه البلاد بما فيها عدن وجزيرة بيريم تابعة فى ادارتها لحكومة بمباى وعدن هى النقطة المستحكمة الوحيدة بين مصر والهند ونقطة اتصال بالهند ويتبين للرائى من الباخرة انها نظيفة وان الحكومة الانجليزية صرفت كثيراً من المال لتقيم فى بقعة جبلية صخرية ميناء مهمة كعدن بها كل ما يلزم للموانى المصرية وبعدن جملة

مصارف وفندق كبير وبيت المحافظ الانكليزى وتلغراف لاسلكى وثكنات عسكرية واستحكام وخزانات للمياه المستحضرة من البحر بواسطة الكندانسا خلاف الخزانات الموجودة بالجبال لحجز مياه الامطار لأهالى المدينة ويوجد فنارات عديدة بالجزيرة التى أمامها . الحالة الصحية جيدة خالية من الحميات اذا استثنينا ما يحصل أحياناً من شدة الحر . ليس بعدن رصيف لمرسى البواخر بل تبقى راسية بالقائها « الهلب » وقد القيناه الساعة الواحدة بعد الظهر تماماً بجوار سبع سفن كانت موجودة وبعد اجراء الرسميات المعتادة جاءت عدة زوارق للأهالى عليها بضائع يسيرها عبيد من السواحلية ومما يدعو للتسلية أنهم كانوا يبيعون ما عندهم من الاشياء الخفيفة بواسطة رمى طرف من الحبل إلى الأعلا للسواح على ظهر الباخرة والطرف الآخر يمسكه البائع فى زورقه وبوسط الحبل زمبيل مربوط توضع فيه الحاجة فيأخذها السائح بعد أن يجذب الحبل اليه ثم يضع بالسلة ثمن ما اشترى ويلقيه للبائع . نزل بعض السواح للفسحة بالبلدة ، وكان العبيد يبيعون أنواع السجاير والدخان ومقاطف بغطاء مصنوعة من القش الملون كصناعة السودان وبعض الباعة يهود يلبسون الطربوش وهم يبيعون ريش النعام وعقود الكهرمان المصنوعة بأوربا ، وبعض الأقمشة الحريرية الهندية يبيعها الهنود ومن الاشياء المشهورة بها عدن قرون الحيوانات وأنياب الاسماك ومن الاشياء المسلية وجود أولاد صغار من العبيد والسواحلية نحيفى الاجسام يلقون بأنفسهم فى الماء من الباخرة فيغوصون

ثم يظهرون على سطح الماء وبيدهم قطع النقود التى كانت تلقى لهم فى البحر من السائحين وكنت أظن قبل رؤية هؤلاء أن أولاد نابولى بإيطاليا هم الذين فاقوا بمهارتهم فى هذه اللعبة ولكن وجدت من هؤلاء ما يفوق الآخرين . اقتربت من الباخرة معونة مملوءة بحقائب البريد الى غرب أفريقيا وجنوبها ومعونة أخرى فارغة لتفريغ البضاعة من الباخرة وقد قام بهذا العمل جماعة من اهل اليمن عليهم رئيس منهم وكان المقرر أن نمكث ثلاث ساعات ولكن تأخرنا لمجىء شحنة كبيرة من الملح الى ممباسا وبما أن أجرة نقلها تقرب من مائة جنيه فضل القبطان أن يحملها على الباخرة وهذا الملح موجود بضواحى عدن بكثرة ووفرة ومعدوم فى جنوب وغرب أفريقيا والهند ولذا يصدر بكميات عظيمة من عدن الى تلك الجهات والتاجر الكبير المشتغل بذلك يعرف بالملا حاج عبد الله .

بعد الغذاء أذن للباعة بالصعود الى الباخرة لبيع ما عندهم للمسافرين. لا يوجد بعدن حمامات بحر وذلك لوجود وحوش كالحوت بمياهها ومما يبعث للتسلية محاربة الطيور للاسماك على سطح الماء وذلك ان فوجاً من السمك يظهر عند ما يرى قليلا من الطير يسبح على سطح الماء ويأخذ عندئذ فى الوثب والقفز فتصيح الطيور ويلحق بها عدد عظيم من جنسها لمطاردة السمك الذى يغوص ويظهر ثانياً وهكذا يستمر ذلك النضال أو المداعبة بين سرب من الطيور والأسماك .
أنذرت الباخرة بصفيرها مغادرة الميناء فى الساعة السادسة مساء

فابحرت بنا الى جنوب أفريقيا والمسافة من بور سعيد الى عدن هى ثلث الطريق وكانت الحالة بحمد الله على ما يرام ولكن بمناسبة شدة الهواء الذى ابتدأ بعد عدن أشاع بعضهم أن الرياح البحرية المسماة بالموسون ابتدأت قبل شهر من أوانها فأزعجنا ذلك الخبر لما هو معلوم من خطر تلك الرياح والعواصف وما تنذر به من هول وشدة فسألنا القبطان عن ذلك لنتبين حقيقة الخبر ولكنه طمأن قلوبنا بتأكيده لنا أن لا صحة لذلك فقضينا ليلتنا متمتعين بنوم هادئ .

(يوم ١٤ ابريل) وكان الاثنين من أيام الاسبوع ، طلع علينا صبحه بجو لطيف وبحر هادئ وفى الساعة الثانية بعد الظهر رأينا جزءاً من ساحل الصومال الايطالى وتقابلنا بسفينة تجارية ويقال أننا سنمر فى منتصف الليل برأس غاردفوى وهى القطعة البارزة من ساحل أفريقيا الى الجهة الشرقية فى المحيط الهندى ويوم ١٥ ابريل لم يقل عن سابقه حسناً جواً وبحراً ومضى النهار والمسافرون يتبارون فى العاب خصصت لها جوائز ورأينا فى الليل سفينة أخرى . يوم ١٦ ابريل لم يختلف عن يوم ١٥ فى حالة الجو والبحر ولكننا بعدنا عن الشاطئ ولم نعد نر منه شيئاً وفى المساء أقيمت حفلة « بالو » للرقص بملابس غريبة « Fancy dress » واستمر ذلك الى منتصف الليل «يوم ١٧ ابريل» لا يختلف الجو عن اليوم السالف كما أننا لم نر شيئاً من الشاطئ وبعد الظهر مرت الاطفال على سطح الباخرة بملابس هزلية مضحكة وفى الساعة السادسة ونصف مساء ظهر الاب « نبتن » ذو اللحية البيضاء الطويلة كما اقتضت

العادة ظهوره عند الوصول الى خط الاستواء وهو يمثل إله البحار فى زيه التقليدى ويحمل تاجه وصولجانه ومر بالصغار يداعبهم ويلاعبهم، وبعد طعام العشاء فى الساعة الثامنة ونصف وزعت الجوائز على الرجال والسيدات الذين برعوا فى تفنن الملابس فى الليلة الماضية وعلى الفائزين فى الالعاب الرياضية ومسابقتها وبعد ذلك صدحت « كونسرت » من ثلاثة رجال وثلاث سيدات بالالحان الشجية .

(يوم ١٨ ابريل) لم يستجد شىء فى حالة الجو والبحر خلا ماتساقط من الرذاذ القليل وبما أن اليوم هو آخر يوم للوصول الى ممباسا التى سيفارقنا فيها كثير من السواح تجدهم فى حركة لاعداد امتعتهم السفرية، وصلت الباخرة فى الساعة الثالثة صباحا قبال مدخل ممباسا ووقفت للساعة السادسة والنصف حتى تهدأ حركة المد والجزر لتتمكن من ولوج الميناء ونزل اثناء ذلك مطر غزير رطب الجو ثم دخلت الباخرة الشواطئ فى هذه الجهة تختلف كثيراً عن كل الشواطئ التى مررنا بها اذ الارض كلها مغطاة بالخضرة والاشجار الكثيرة التى أغلبها من شجر جوز الهند رمز بلاد خط الاستواء، وممباسا واقعة على ٤ درجات من خط الاستواء جنوبا وعلى ٣٩ درجة من خط الطول شرقا وهى الميناء لمستعمرات كينيا واوغندا التابعة لانجلترا قائمة على جزيرة طولها ثلاثة اميال وعرضها ميلان وبها ٧٠٠ من البيض الأوروبيين و ٣٦٠٠٠ من اهالى وشرقيين وهى على بعد ٣٠٦٦ ميل من بورسعيد صرف نحو مليون جنيه فى عمل رصيف ميناها المهمة المسماة كلندنى .

عند وقوف الباخرة وبعد الاجراءات المعتادة نزل السواح القاصدون المستعمرات الداخلية ويبلغ عددهم نحو مائة وعشرة بين رجال وسيدات. بالميناء محطة السكة الحديدية والجمارك ومخازنها وتستجلب المياه الى المدينة من مسافة بعيدة من جبال نائية. نزلنا من الباخرة نحو الساعة التاسعة والدقيقة خمسة واربعين ومررنا من وسط الجمرك وأخذنا سيارة فورد اتفقنا مع سائقها على ساعة زمن لرؤية البلد وما فيها. وجدنا الطرق فسيحة ومرصوفة بالمكدام ونظام السير من اليسار كما هو فى لندن. كان الطريق الموصل الى المدينة جميلا لوجود الاشجار المختلفة على جانبيه ومما أدهشنا ضخامة أشجار المنجه وشجر البواباب وهو كثير ببلاد السودان، كل المنازل محاطة بالبساتين وقد اشترينا فى طريقنا مناظر كارت بوستال لارسالها لاخواننا بمصر ثم مررنا بالحى الموجود به الفلات الصغيرة ومررنا بالطريق الممتد على ساحل البحر.

يوجد بممباسا محكمة انجليزية ومحكمة شرعية اسلامية تحت سلطة الوالى المعين من قبل سلطان زنجبار الذى احتفظ فى معاهدة بينه وبين انجلترا بسلطته فى منطقة الشاطئ على اتساع عشرة أميال فى الداخل. يوجد بالبحر كثير من المرجان واغلب المبانى مبنية بالحجر الداخل فيه المرجان وذلك بعد حرقه وجعله ترابا ثم قوالبا كالحجر المعروف فى مصر بالثلاثات، وممباسا هى رأس السكة الحديدية الموصلة الى الاقطار الداخلية. بعد الظهر فى الساعة الرابعة ونصف ركبنا زورقا الى الساحل واخذنا سيارة لمشاهدة ما يستحق الرؤية وكان بعد ظهر يوم سبت

فوجدنا الحوانيت الافرنجية مغلقة كما هى العادة بانجلترا فطلبنا من السائق أن يطوف بنا الاحياء الاهليـة فررنا أولا فى شارع نظيف منتظم يسكنه تجار الهنود وخصوصاً الاغنياء منهم وأكثرهم يحترفون الصياغة وبعضهم يبيعون الحرائر والأقمشة، وقد لاحظنا أن كثيراً من المنازل القديمة لها أبواب من الخشب مزينة بمسامير كبيرة من الحديد والنحاس وقديما كانت صناعة الأبواب هذه معروفة ببلاد العرب وانتقلت الى بلاد الأندلس وفنيسيا وغيرهما من البلاد التى دخلتها العرب ومن هناك مررنا بشارع آخر اغلب تجاره من السواحلية وبضاعتهم عبارة عن عطاره ومناديل ملونة كبيرة واقمشة ذات الوان ظاهرة وقد رأينا مسجدين فى طريقنا وبآخر البلدة توجد مساكن العبيد الذين هم أهالى تلك الجهة الأصليين ثم خرجنا الى خارج البلدة من طريق فسيح به أشجار كبيرة وارفة الظل حتى تعسر علينا أخذ مناظر بالفوتوغرافية وبعد أن سرنا مسافة طويلة وصلنا الى فندق على شاطئ البحر حيث ابتـداء الطريق المرصوف بالمـكدام وقد يخيل للانسان أنه يسير وسط حدائق أوروبا الـكبيرة الجميـلة الى أن وصلنا أمام سوق الخضار والفواكه التى يوجد أغلبها بمصر وليس منها ما يستحق الذكر وقد مررنا بمنزل رجل سواحلى غنى مكتوب على بابه آيات قرآنية ووجدنا الشارع الـكبير مزدحماً بأناس من مختلف الاجناس والباعة على جانب الطريق بعروضاتهم الزهيدة

.. استلفت نظرنا فى طريقنا زنجى مقبوض عليه يسوقه جنديان

مسلحان وهو يحمل متاعه على رأسه ولعل ذلك لعدم دفعه القيمة المعلومة المفروضة على كل انسان من الاهالى يؤديها سنويا وذلك لان الاهالى يقنعون بالقليل من نبات الارض ويكتفون بما تجود عليهم به الطبيعة من مختلف النبات والحيوان فلا يشتغلون ولا يكلفون انفسهم عناء العمل ولذا وضعت الحكومة هذا القانون لتجبر الاهالى على الكد والعمل فجعلت على كل عبد أو زنجى أن يؤدى للحكومة ثمان شلنات سنويا كضريبة شخصية وعلى كل عربى أو سواحلى قيمة جنيه

مضى الليل وقد امطرت السماء قليلا وفى يوم ٢٠ ابريل كان الصباح أدفأ بقليل من الامس وحيث أن تفريغ البضاعة يسير ببطء عدل الربان ميعاد السفر فبدل ان كان الساعة الخامسة بعد الظهر جعله صباح اليوم التالى وضمن ما شاهدناه من البضاعة التى كانت تفرغ من الباخرة نحو ٥٣٠ صندوقا تحوى نقودا مرسلة الى حكومة كينيا وفى الساعة الرابعة والنصف مساء دعانا القبطان لعمل فسحة بموتوربوت لرؤية ما حول الميناء وحول جزيرة ممباسا فمررنا أولا بجانب الرصيف الذى يعدونه لمرسى البواخر وقد فتحت الحكومة اعتمادا لذلك بمبلغ مليون ونصف من الجنيهات ثم مررنا بجهاز كبير من الحديد يشبه الكبارى لنقل الصودا من المعمل الى المراكب وهذا تابع لشركة الصودا هناك ثم مررنا تحت كبرى السكة الحديدية الموصل بين الجزيرة وأرض القارة الافريقية فشاهدنا مناظر جميلة فوق التلول والاراضى التى تكسوها الغابات الخضراء وشاهدنا كثيراً من البيوت التابعة للاوروبيين

يحوطها كثير من اشجار جوز الهند ثم مررنا بلوكاندة تودور ووصلنا ميناء ممباسا ورأينا منظر البلدة من البحر وما بها من منازل متوسطة ضمنها بناء كبير عليه مسحة من الجمال علمنا أنه أقيم بواسطة أحد اغنياء الهنود لجعله مدرسة ولكنه أهمل اليوم فهو غير مستفاد به، وعلى الاستحكام القديم علم احمر هو علم ملك الزنجبار وكان بالميناء ثلاثة مراكب تجارية صغيرة لنقل المتاجر بين الشواطىء وهى تابعة لاحد الهنود وقليل من السنبوك ولما وجدنا البحر شديدا وأن الموتور ضعف عن مقاومة الامواج عدلنا عن اتمام الطواف حول الجزيرة ورسينا على مرسى للجمرك لنأخذ من هناك سيارة الى ميناء كلندنى الموجودة بها باخرتنا فمررنا من شارع فى آخره النادى الانجليزى ودعانا القبطان لدخوله فما كان أعظم سرورى برؤية الحديقة الصغيرة التابعة للكلوب لما فيها من عشرة أجناس من شجر الكروتون الذى كان جميلا فى لونه غريبا فى حجمه اذ كان منه ما يقارب حجم شجر النارنج الكبير ولا عجب فى اهتمامى بذلك فانى من المولعين بالنباتات وكنت أظن أن ما رأيته بالاسكندرية من أشجار هذا النوع هو أجود ما يكون ولكن فى الحقيقة لا نسبة ولا تشابه بين هذا الذى رأيته فى ممباسا و بين الذى رأيته بالاسكندرية ثم غادرنا الكلوب وانا معجب بما تتجسم فيه قدرة الخالق عز وجل ثم عدنا بالسيارة الى الميناء ومنها الى الباخرة، وقدحضر اثناء ذلك أربعون سائحا وكان ينتظر وصول ثلاثين غيرهم

يوم ٢١ ابريل قمت فى الصباح مبكراً لأرى خروج الباخرة من

الميناء وكذلك المناظر التى بالشاطىء ولكن تأسفت جداً لما علمت بتأجيل سفر الباخرة الى الساعة الرابعة بعد الظهر . قامت الباخرة فى الساعة الخامسة بعد الظهر وعند خروجنا من الميناء كان البحر مخيفاً والهواء شديداً وخفنا أن تزداد الحالة فى الليل اذ لا يمكننا الدخول الى ميناء طنجه الا فى الصباح لان قلة عمق المياه فى مينائها لا يسمح للباخرة بسهولة المرور لوجود مرتفعات من الرمال تحت سطح الماء . يوم ٢٢ صباحا فى الساعة السادسة رأينا الشاطىء وفى الساعة السابعة كنا بين جزائر وفى منتصف الساعة الثامنة حيث كنا أمام ميناء طنجه القينا « الهلب »

ان طنجة ميناء ولاية تنجانيكا تشبه الموانى الاوروبية الشمالية فمنازلها على النسق الافرنكى وهى واقعة جنوب خط الاستواء بخمس درجات وعلى بعد ٧٣ ميل من زنجبار ويبلغ سكانها أحد عشر الفا من الاهالى ومائتان من الأوربيين وهى واقعة على مصب نهر سيجى . انشئت هذه البلدة بيد الالمان كذا مابها من مستشفى كبير وحديقة عمومية للنزهة وشارع كبير على النسق الأوروبى وقد هاجمها الانجليز سنة ١٩١٤ فى شهر نوفمبر ولم تؤخذ تماما الا فى سنة ١٩١٧ ومن ذلك العهد صارت تحت حمايه انجلترا . تمتد من طنجة الى الداخل سكة حديدية الى مسافة ٢٢٠ ميل لبلدة تسمى موشى الواقعة بأسفل الجبل المسمى كليمانجارو اعلا جبال افريقيا حيث يبلغ ارتفاعه ١٩٣٠٠ قدم

فى الاراضى المستوية من تلك الجهات يزرع السمسم ويستخرج الكاوتشوك والصمغ وفى الاراضى المرتفعة يزرع شجر القهوة . تخلف

الى تلك البلدة ثمانية من الركاب وحضر الى الباخرة للسفر ستة من السواح بينهم انجليزى يشتغل بالسينما لأخذ مناظر البلاد المتوحشة ومناظر صيد الحيوانات الوحشية وقد تعرفت بمكاتب حربى انجليزى للجرائد كان مرافقاً لنا من ممباسا وقد اشتغل مدة الحرب وبعدها بمراسلة الجرائد عن حالة البلاد الاسلامية والشرقية وقد جال بلاد العجم وبغداد والاستانة

غادرنا طنجة فى الساعة الحادية عشر صباحا الى زنجبار والسماء تمطر والبحر ثائر وبعد ما سرنا قليلا مر علينا سحاب مظلم كثيف وصار يهطل بشدة كما هى الحالة فى جهات خط الاستواء ثم انتهى بعد نصف ساعة وفى الساعة الثالثة بعد الظهر كنا تجاه شمال جزيرة زنجبار نسير على مقربة من الشواطئ الخضراء فمررنا بجزيرتين وشاهدنا قصرا له برج علمنا انه مصيف سلطان زنجبار بقرب قرية تسمى بوبوبو متصلة بالعاصمة بسكة حديدية ضيقة ويبلغ طول هذا الخط الوحيد بالجزيرة ثمانية اميال وهو تابع لشركة امريكية وفى الساعة الخامسة والنصف مساء دخلنا ميناء زنجبار والقينا « الهلب »، وهذه الجزيرة الصغيرة واقعة فى جنوب خط الاستواء بسبع درجات وتبلغ مساحتها ٦٤٠ ميلا مربعاً ويتبعها جزيرة فى شمالها تسمى بمبه مساحتها ٣٨٠ ميلامربعاً ويبلغ تعداد سكان الجزيرتين مائتان وعشرة آلاف نسمة وعليها سلطان تحت حماية انجلترا

ان غروب الشمس فى تلك الجهة لما يسحر الانظار وذلك أن

الشمس بميلها تعكس ضوءا جميلا على شرق الجزيرة وكأنها بستان واحد اقامته الطبيعة فيرى الناظر الاشعة الذهبية تعلو اللون الاخضر الجميل مما يسر العين ويعجز اللسان عن وصف جمال الطبيعة الزاهية ، صنع القدرة المتجلية .

نشاهـد امامنا بالجزيرة سراى السلطان والجمرك ودار المحافظة ومبانى أخرى كثيرة ولما كان وصولنا قبـل الغروب امكن انجاز الاجراءات القانونية العادية عند وصول البواخر وبذلك غادر الباخرة كثير من الهنود والزنوج وقليل من السواح . يوم ٢٣ ابريل كان الجو حارا فى الصباح وقد اعد لنا القبطان زورقا ليوصلنا الى الشاطىء واستحضر لنا عند نزولنا سيارة وتوجهنا وقد تركنا الباخرة وازدحم عليها كثير من الباعة الهنود بمتاجرهم الهندية . مررنا بالسيارة من شوارع البلدة وهى طرق ضيقة الا انها كانت نظيفة فمررنا امام البوستة ودار الحكمة وحديقـة النزهة والمقابر القديمة من عهد العرب وكنا قاصدين كفر بوبوبو فمررنا بجملة كفور ومساكن للزنوج فى وسط اشجار عالية من جوز الهند والمنجة وقد لاحظنا أن العساكر والبوليس ومعظم الاهالى كانوا يلقون اشارة السلام محيين من كان راكبا سيارة من الاجانب ورأينا نساء الزنوج يحملن اولادهن بوثاق الى ظهورهن، وللاهالى عربات صغيرة للنقل تجرها ثيران لها اكتاف مسنمة ولكنها نحيفة الجسم صغيرة الحجم . الطرق خارج البلدة واسعـة ومرصوفة بالمكدام تضاهى احسن طرق اوروباء على جوانبها الرياض والبساتين

وكأنها كلها حديقــة غناء ، ومما استلفت نظرى أن الدجاج والديوك كبيرة الحجم مثل التى يربيها بعضهم فى مصر المضاربة وقد سرنا الى أن وصلنا مزرعة شجر القرنفل ثم عدنا الى البلدة من طريق وسط سوق للاهالى اغلب تجاره من الهنود ثم مررنا بسوق الخضار والفواكه حيث استوقفتُ السيارة لرؤية موز كبير ادهشنى يزيد طول الواحدة عن ثلاثين سنتى متر فاشتريت ثلاثة منها على عزم أن استحضر منه شتلا الى مصر اذا وجدته حلو الطعم ولـكن وجدته عـكس ذلك وعلمت أنه يطبخ فيؤكل ثم دخلنا حديقة للنزهة رأينا بها انواعا عديدة من النخيل ودخلنا دكاكين الهنود ولـكن لم نجد بها أحسن مما رأيناه معهم على الباخرة ثم قصدنا رؤية الجامع الـكبير الذى بناه الطيب الذكر اغا خان الهندى غفر الله له وهو جد اغا خان الحالى ويذكر عن ذلك الرجل العظيم أنه أقام ذلك المسجد ومكتبة للهنود ونا ديا ليجتمعوا فيه ثم قصدنا الشاطىء لنعود الى الباخرة وبينا نحن فى سيرنا اذ استوقفنا رجل انكليزى ليكلمنا فى أمرٍ فوقفنا واذا به السكرتير الخــاص لسمو السلطان وقد أخبرنى بوجه بشوش أن سمو السلطان علم بوجودى فى بلاده ولما بيننا من سابق المعرفة يدعونى لمقابلته فأجبته بقبول الدعوة على أن أحضر لمقابلة سموه الساعة الخامسة مساء . ثم انصرفت الى الباخرة

زنجبار هى نقطة تقابل كل من لهم اشغال تجارية فى شرق افريقيا وبها أناس من كل الاجناس وأغلب تجارتها فى القرنفل وسن الفيل وجوز الهند

حضر فى الساعة الرابعة والربع مساء الى ظهر البـاخرة المستر بتسكومب السكرتير الخاص لسمو السلطان بخطاب من سموه لطيف العبارة كريم المجاملة يذكر فيه معرفتنا السابقة ويدعونى برقة لتنـاول العشاء بعد عمل نزهة وسط حدائق الجزيرة على سيارة سموه فاخذنا الرفاص وانتقلنا الى الساحل امام القصر فوجدنا السيـارة فى انتظارنا على الساحل ولـكن لقرب المسافة فضلت المسير على القدم فدخلنـا القصر وقيدت اسمى فى سجل اعد لذلك وصعدت سلماً رأيت فى نهايته سمو السلطان مع نجله فى انتظارى مرتديا ثوبا عربياً جميلا فسلم علينا ببشاشة واحترام ثم ادخلنا الى صالة كبيرة بها الكرسى السلطانى الكبير ودونه من الامام سجادة كبيرة مشغولة بالقصب وبالغرفة مرائى كبيرة مذهبة وتحف كثيرة وشبابيكها واسعة عظيمة فبعد ان تبادلنا التحية وتكلمنا برهة قصيرة دعانى للنزول معه للنزهة بالسيارة فوجدته لطيف الحديث يتكلم العربيـة الفصحى وكنت لابساً طربوشى وكان الناس يهمون لتحية سموه بكل احترام ويقـال انه محبوب من رعيته لما له من صفات الابوة نحوهم وقد مررنا فى طريقنا بعربات عليها هنود فاستوقفوا عرباتهم وقاموا لتأدية واجب التحية والتعظيم ثم وصلنا السراى المعدة لمصطافه وهى تطل على منظر جميل من الميناء والبلدة ، والصالة الكبيرة مفروشة بأثاث هندى وبها عدة صور فوتوغرافيه ورسومات وبعد برهة وجيزة رجعنا الى البلدة وقد ألح سموه بكرم فى الدعوة لقبول تناول العشاء معه فى الساعة الثامنة والنصف وبعد ذلك ودعته لأترك بطاقة

الزيارة للحاكم الانكليزى كما تقضى به اللياقة لا سيما وانى زرت سمو السلطان وكنت لابسا طربوشى فى تلك الزيارة وصرت معروفا بصفة رسمية فوجدت للحاكم الانكليزى بيتاً عظيماً بحديقة كبيرة جميلة على جانب من النظافة وحسن الترتيب ومن هناك عدنا الى الشاطىء فرأيت أن المسافة الى الباخرة بعيدة وان الزوارق المعدة للنقل ليست على ما يرام ولما لم أتعود التأخر فى الليل بل اعتدت الذهاب الى مضجعى مبكراً ورأيت أن فى الذهاب لتناول طعام العشاء مع سموه فيه من التعب ما فيه كلفت سكرتيرى الخاص احمد افندى مختار أن يذهب مع المستر بتسكومب سكرتير سموه لتقديم تشكراتى واعتذارى مع الاسف الشديد فى عدم امكانى الحضور ليلا راجياً اهدائى صورة سموه الفوتوغرافية كتذكار، ثم عدت الى الباخرة بمفردى وفى الساعة السابعة والنصف مساء عاد سكرتيرى ومعه صورة سموه الفوتوغرافية فبعثت الى سموه خطاب شكر من الباخرة . واذكر بالمناسبة عادة فى زنجبار وهى ان يطلق دائماً فى الساعة الثامنة مساء طلقة مدفع مثل ايام رمضان بمصر. فى يوم ٢٤ ابريل الساعة الثالثة صباحا ابحرت الباخرة من الميناء وفى الساعة السابعة والنصف صباحا رسينا أمام ميناء دار السلام ولضيق بوغاز الميناء وقلة عمقه الكافى قابل الباخرة رئيس البوغاز وصعد اليها ليقودها الى المدخل وقد مررنا بالبواخر المغرقة فى الميناء وكان قد أغرقها الالمان فى بداية الحرب لمنع دخول أساطيل أعدائهم ثم رسينا بالميناء وهى تشبه من جميع الوجوه البلاد الافرنجية ، بها كنيستان احداهما للبر وتستانت

والأخرى وللكاثوليك فبعد أن حصلنا على جواز للنزول من قومندان البوليس وبعد اتمام الاجراءات العادية نزلنا الى زورق ومررنا من الجمرك حسب العادة . تلك المدينة على مسافة ٤٨ ميل من زنجبار وكانت عاصمة مستعمرة ألمانيا بشرق افريقيا وهى الآن تابعة لانجلترا ، بها ٦٠٠ من الافرنج وأهلها ستة آلاف وبها ألف ومائتان من الجنود السود والذى بدأ انشاء هذه البلدة هو السلطان السيد نجيب سلطان زنجبار فى سنة ١٨٦٢ ولما تركها فى سنة ١٨٨٧ جاءها رجل ألمانى يدعى كارلبتس وبعد وصوله بسنتين أرسلت الحكومة الألمانية قوة عسكرية واحتلت البلدة وأعلنت امتلاكها . توجد سكة حديدية توصل منها لغاية بحيرة تنجانيكا وطول الخط ٧٨٠ ميل ، وهذه البلدة تنقسم الى ثلاثة احياء قسم للافرنج وقسم للأهالى وقسم للجنود المعسكرة فالقسم الأفرنكى تخترقه طرق جميلة تحفها أشجار من الجانبين وبه منازل كبيرة وفلات جميلة صغيرة ويوجد بها أيضاً فندق كبير ولعدم وجود سيارات أخذنا من الشاطئ عربتين ركشا كالموجودة ببلاد اليابان. والصين وهى عربة خفيفة بعجلتين يجرها رجل وأحيانا يساعده آخر من الخلف وأخذنا معنا ترجمانا من الاهالى ومررنا من بستان الى منزل الحاكم ثم مررنا بالمستشفى الكبير كالموجود بطنجه وهذا مما كان يهتم به الألمان حيث أن أكبر المبانى فى هذين البلدين هى الاسبتاليات ثم مررنا بالقسم الأهلى ومنازله عبارة عن أكواخ نظيفة تفصلها عن بعضها طرق واسعة منتظمة وكل هذا على حال تلائم الصحة ثم عدنا الى

الباخرة ولم ننزل بعد الظهر . أبحرنا من الميناء فى صباح اليوم الثانى الموافق ٢٥ ابريل الساعة السادسة والنصف صباحا وكان البحر هائجا شديد الأمواج والهواء عنيفا يواجهنا والمطر غزيراً بين آونة وأخرى وحرمنا رؤية الشمس طول هذا اليوم . فى يوم ٢٦ ابريل كان الجو بارداً والبحر مثله بالامس وفى الساعة السابعة صباحا مررنا أمام رأس دلجادو حيث ابتداء حدود مستعمرة البرتغال وكنا نرى الساحل طول النهار ومرت فى طريقنا باخرة واحدة وكان الجو معتدلا ولكن هطل فى الليل مطر غزير . فى يوم ٢٧ ابريل صباحا كنا فى بوغاز موزنبيق التى كانت عاصمة مستعمرات شرق افريقيا البرتغالية وهى على ١٥ درجة من جنوب خط الاستواء وهى ميناء مهمة بها فرعان للتلغراف البحرى أحدهما فرنساوى متصل بجزيرة مدغشقر والآخر انجليزى متصل بالجزائر الانجليزية وعدد أهلها ٤٥٠٠ نسمة ويوجد فيها ثلاثمائة أوروبى . الميناء واسعة جداً وهى منذ سنة ١٥٠٨ مركزاً للحاكم البرتغالى ورغماً عما فقده البرتغاليون فى حروباتهم العديدة أمكنهم أن يحتفظوا بتلك الجهة وتلك الميناء وبقت تحت حكمهم وضمن مستعمراتهم . الميناء مقفولة من الخارج بجزيرتين والبلدة بها مبانى قديمة جميلة والطرق مبلطة بالحجر وبها أبواب قديمة أثرية وشبابيك حديدية من بقايا القرن السادس عشر موجود عليها بدل الزجاج قبل استعماله شىء مصنوع من الطبخ يشبه الورق الشفاف ويسمى ميكا، وبالبلدة اسبتالية كبيرة بسور ودار للمحافظة ومدرسة للجزويت ودير للرهبان ، وأهم

ما يستلفت النظر فى تلك الميناء والقلعة القديمة وهى محاطة بسور يبلغ ارتفاعه ٣٥ قدما وقد شيدت فيما بين ١٥٠٨ و ١٥١١ ميلادية ، جلبوا لبنائها حجارة كبيرة من بلاد البرتغال على مراكب شراعية وتلك المسافة تبلغ ٨٠٠٠ ميـل وفى هذا مفخرة عظيمة تظهر قوة عزم أمة البرتغال فى ذلك العصر عصر قوتها ومجدها . دخلنا المينـاء فى الساعة السادسة والنصف صباحا وفى الساعة السابعة جاء موظفو الميناء والصحة لاجراء الرسميات المعتـادة وقد أحاط بالباخرة زوارق زنوج يبيعون أنواع القوقع والعصافير والنسانيس والمراوح . تخلف فى تلك الميناء اثنان من السواح وجاء خمسة جدد

يوجد بمياه الميناء أسماك كثيرة كبيرة رأيناها تتسابق وتقفز من المياه لتلتقط قطع الخبز التى كانت تلقى وقد غادرنا موزنبيق الساعة العاشرة صباحا

عند خروجنا من المينـاء كان قد هدأ البحر فحمدنا الله على ذلك وقد مر بنا سمبوق يحمـل العلم الانجليزى ومن سيماء من به عرفنا أنهم من اليمن أو عدن . بعد الظهر اشتد الهواء وهطل المطر كالمعتاد وفى يوم ٢٧ كان البحر شديداً والجو بارداً ولا يوجد ما يهم ذكره طول هـذا اليوم سوى أنه قبل غروب الشمس رأينا مئات من الاسماك الكبيرة على سطح المياه . يوم ٢٨ كان البحر مالى الامواج والشمس ساطعة وبعد نصف الليل كثر اهتزاز الباخرة لشدة الهواء والامواج وفى صبـاح يوم ٢٩ كان البحر هادئا والجو معتـدلا نرى الشاطئ

الذى فارقناه بالامس ومررنا فى الساعة التاسعة صباحا برأس كوريانتس وكذلك فى المساء كان البحر هادئا وبما أننا كنا على مقربة من ميناء لورينسوماركيس ولا يمكننا دخول الميناء الا فى النهار ، أمر القبطان بتقليل سرعة السير الى ثمانية أميال فى الساعة وفى صباح يوم ٣٠ ابريل الساعة الخامسة كانت الباخرة راسية فى الميناء تنتظر رئيس البوغاز وفى الساعة السابعة صباحا كنا ننتظر الاذن للمرسى على الرصيف وكان يوجد بالميناء ثلاث بواخر وأتى دور باخرتنا فرست على الرصيف فى الساعة التاسعة صباحا وفى الحال جاء (ضابط برتبة يوزباشى) وهو ياور لحاكم المنطقة أفهمنا أنه جاء من قبل الوالى لاستقبالنا وان سيارة الوالى تحت تصرفنا فمررنا من الجمرك دون تفتيش أمتعتنا حيث كانت أعطيت الاوامر بذلك من قبل الحاكم العام البرتغالى وكان قد حضر أيضا رئيس ادارة كوك بجوهانسبرج لملاقاتنا بأمر من المستر فرنك كوك وحضر كذلك مدير اللوكاندة لمباشرة نقل أمتعتنا وللترحيب بنا وكان ذلك كله من أوفر الاكرام فى سياحة غير رسمية بدأتها باسم مستعار ولكن لم يكن بد من قبول تلك المجاملات الكريمة لان الرفض غير ممكن ويعد مؤلما للعواطف

وفى الساعة التاسعة صباحا تركنا الباخرة نورمان بعد سياحة دامت أربعة وعشرين يوما كان فى خلالها القبطان وجميع موظفى الباخرة يعاملوننا بكل احترام مراعين راحتنا فودعناهم شاكرين وفى

طريقنا بالمدينة كان البوليس والملكيون يلقون اشارة السلام والتعظيم حيث كنا راكبين سيارة الوالى

الطرق واسعة ونظيفة مفروشة بالمكدام والاسفلت ، وبعد عشر دقائق من مغادرتنا الباخرة وصلنا الى لوكاندة عظيمة على ربوة جميلة وهى تضاهى أكبر لوكاندات أوروبا وبها جميع وسائل الراحة الحديثة قد شيدها أحد أغنياء الترنسفال لان مدينة لورينسو ماركيس ولو أنها برتغالية الا أنها تعد ميناء مهمة للترنسفال وفى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر جاء الياور بالسيارة حيث ذهبنا لزيارة الوالى ولما وصلنا الى الباب الخارجى أدى فزه قول الحرس التحية العسكرية لنا ثم دخلنا وصعدنا الى الغرفة فقابلنا الوالى باحترام وبشاشة ولعدم المامه بلغة من اللغات الاجنبية التى تعلمها صار الياور واسطة التفاهم بيننا وقد قال لنا الوالى فى كرم ومجاملة شرقية بوداعة تشبه المجاملة الشرقية « أن اعتبروا أنفسكم فى بلادكم » وبعد قليل ودعناه وشكرناه على جميل ترحابه وكريم لقائه ثم عدنا الى اللوكاندة

لورينسو ماركيس صارت عاصمة لمنطقة الموزنبيق منذ سنة ١٩٠٧ وهى واقعة على ٢٧ درجة جنوب خط الاستواء بها ستة آلاف من البيض بينهم سبعمائة انجليزى وثلاثة عشر الفاً من الاهالى ويوجد بها أيضاً كثير من الهنود المسلمين وبعض من الاروام . يبلغ طول رصيف الميناء لمرسى المراكب الف وخمسمائة متراً فيمكن لاثنتى عشرة باخرة أن تصطف جانب الرصيف وهى تعتبر من أكبر موانى افريقيا الجنوبية

وبحسب التقارير الرسمية دخل هذه الميناء فى سنة ١٩٢٢ نحو ٥٢٢ سفينة يبلغ حمولة مجموعها ٢ مليون وستمائة الف طن . مررنا بمحطة السكة الحديدية فوجدناها كبيرة ونظيفة ومررنا بالكازينو الذى وجدناه مغلقاً وهذا الكازينو كان مورد كسب كبير لتلك البلدة حيث كان يجلب اليه كثيرا من السواح للمقامرة ولما لم يكن هناك قانون يمنع اهل المدينة وموظفيها من المقامرة داخل الكازينو حصل أن خسر كثير من الاهالى والموظفين اموالهم وصار كثير منهم بحالة فقر سيئة فاضطرت الحكومة اخيراً الى غلقه

يوجد بالمدينة كنائس وجوامع ومساجد ومعبد صينى ويوجد بها تراموای كهربائى وسيارات وأول أوربى اكتشف موقع هذه المدينة هو قبطان برتغالى يدعى انطونيو كامبو فى سنة ١٥٠٤ ميلادية والمجلس البلدى مجتهد فى تحسين حالة المدينة

نزلنا الى شاطىء البحر بالسيارة من طريق جميل تكسو جانبيه انواع الاشجار والنباتات ورأينا على الشاطىء كازينو به حمامات بحر على جانب من النظافة

المنازل اغلبها طابق واحد تحيط بها بساتين وقد مررنا بحديقة النباتات التى بها قليل من الحيوانات وابتدأوا بتحسين حالتها ثم دخلنا الى شوارع المدينة وبعض الدكاكين وقد دهشنا لوجود مصاحف للبيع فى تلك الدكاكين الافرنجية ثم مررنا أمام الثكنات العسكرية التى يوجد بها أورطة من حرس الجمهورية البرتغالية وبولوك من الخيالة الذين علمناه أنه

لم يبق فى حيازتهم سوى سبعة خيول لان معظم الخيل ماتت من عدم تحملها الطقس ويوجد ايضا ثلاثة أورط من السود وبطارية متراليوز وبطاريتين طوبجية ومما عجبنا له فى جهات شرق افريقيا على العموم أن الاهالى يحبون لبس الطربوش الاحمر الذى كدنا أن نمل لبسه فى بلادنا لعدم موافقته ولعدم فائدته سواء فى الحر والشمس أو فى البرد والمطر ثم مررنا أمام الاسبتالية الكبرى على مرتفع موافق للصحة خارج المدينة وبها ٦٠٠ سرير ثم عدنا الى اللوكاندة حيث كانت الساعة الخامسة مساء فوجدنا خطابا رقيقا من ممثل حكومة جنوب افريقيا يستعلم فيه عن سفرنا وكان قد وصل خطاب باسم مختار افندى من مدير سكك حديد وموانى جنوب افريقيا يخبرنا فيه أنه أعطى أوامراً لمن يلزم لضمان راحتنا على جميع خطوط السكك الحديد ولقد سررنا وارتحنا لهذه المعاملة الرقيقة التى تطمئننا بأن السياحة ستكون على أحسن مايرام. وفى المساء بعد طعام العشاء اقيم بللو للرقص ووجد الحاكم العام الذى تناول الطعام باللوكانده ايضا

يوم أول مايو والفصل فصل شتاء كان الجو جميلا جداً فانتهزت فرصة ذلك ونزلت لأمشى قليلا بقصد الرياضة وفى الساعة الثامنة ونصف صباحا نزلنا بالترام الى شركة الوابورات لمشاهدة صورة الباخرة التى سنسافر عليها من مدينة الكاب ثم ذهبنا لزيارة ممثل جنوب افريقيا فوجدناه رجلا وديعا ظريفا يدعى المستر لنج وبعد عشر دقائق ذهبنا مرة اخرى الى حديقة النباتات وحيث لم نجد رئيس الحديقة عدنا وفى

الساعة الثانية بعد الظهر ركبنا السيارة للتنزه لجهة تبعد ثلاثين ميلا عن المدينة ولـكن بعد أن قطعنا جزءا من المسافة فى طرق متسعة لم نجد شيئاً من المناظر التى تستحق الاستمرار فى سيرنا غير ما نصادفه من بعض الاشجار العادية وبعض مزارع أدره ونساء من الزنوج يحملن اولادهن وحوائجهن فقررنا العودة ثم رجعنا الى حديقة النباتات وقابلنا رئيسها الذى علمنا منه أنه لا يوجد بين ما عنده من الاشجار والزهور ما نحتاج اليه لانها من الانواع الموجودة بمصر وقد أخبرنا فقط أن الشجر الذى رأينا منه كثيراً فى طريقنا ذى الاوراق اللامعة الخضراء. والتى بعضها أحمر اللون هو شجر اكاجو ثم عدنا الى اللوكاندة . وفى يوم ٢ مايو صباحاً توجهنا فى الساعة الثامنـة ونصف لزيارة مستر هارت مندوب شركة يونيون كاسل فى منزله لرؤية حديقته ثم رجعنا لتجهيز أمتعتنا للسفر ولتناول طعام الغداء وفى الساعة الواحدة بعد الظهر ركبنا سيارة ومررنا بمنزل الحاكم العام لترك بطاقة الزيارة ثم الى محطة السكة الحديدية

خطوط السكة الحديدية بجنوب أفريقية أضيق قليلا منها بأوربا ولذا تجد طرقة المرور داخل العربات ضيقة جداً أما ديوان الجلوس فعلى حسب العادة من جهة الاتساع وقد وجدنا محلات محجوزة لنا بالقطار وفى الساعة الواحدة والنصف قام القطار ومعنا مندوب من حكومة جنوب أفريقيا لمباشرة تسهيلات المرور بالحدود وبعد ساعتين وصلنا حدود الترنسفال كل ما تراه العين اشجاراً مبعثرة وسط الحشائش

التى تصلح للمرعى فهى صالحة لتربيــة البقر والبهائم وتوجد أيضاً أشجار من نوع الصبار وآخر يشبه شجر الدوم

بدخولنا أراضى الترنسفال من أول الحدود وجدنا فرقاً من جهة دقة النظام وجودة الاراضى وثروتها الطبيعية وابتدأت المناظر تتحسن وكان القطار يسير بجانب نهر على شاطئه أشجار كبيرة قديمة أما الارض حجرية ورملية حمراء من لون الطوب الاحمر كما هى فى معظم الجهات بشرق افريقيا ولم نجد بمستعمرات البرتغال مزارع عظيمة كالتى ببلاد الترنسفال حيث مررنا بكثير من المزارع المنتظمة الشاسعة بها كثير من شجر الليمون وشجر الباباز وفاكهته محبوبة فى تلك البـلاد وتوجد أيضا مزارع القطن وفى المساء رأينا بالمحطات كثيراً من الناس ينتظرون القطار ومعهم مصابيح لبعد مساكنهم ولعدم وجود الاضاءة فى الطرق الخلوية ولبعد المسافات من بلدة لاخرى مع قلة الاهالى

لم نستطع النوم فى الليل لهزات القطار العنيفة عند وقوفه وقيامه من المحطات وكان القطار يقف كل ربع ساعة تقريبـاً فى محطة وكان البرد شديداً ولما وصلنا بريتوريا علمنـا من جرائد جوهانسبرج أن تلك الليلة كانت أشد درجة فى البرودة منذ أربع سنوات ، وصلنا تلك المدينة فى الساعة السادسة صباحا وهى العاصمة الادارية لحـكومات اتحاد جنوب افريقيا ويبلغ عدد سكان تلك المدينة ٤٥١٦٣ من الجنس الابيض و ٢٨٦٠٠ من الزنوج وهى على ارتفاع ٤٤٧٠ قدما عن سطح

البحر . لم تصل أمتعتنا السفرية من المحطة الى اللوكاندة قبـل الساعة العاشرة صباحا لان الجمرك لا يفتح قبل الساعة التاسعة صباحا وبمجرد وصول العفش غيرنا ملابسنا وتوجهنا لسراى الحكومة وهى على مرتفع خارج المدينة تشبه موضع القلعة فى ارتفاعها بالنسبة للقاهرة وهى بناء ضخم عظيم يليق أن يكون سراى الحكومة وبلغت تكاليف بنائه نحو مليونين من الجنيهات وهذا ليس بكثير بالنسبة لفخامة البناء وثروة البلاد وكنت أود أن أرى مثل هذه الأبنية العظيمة فى القاهرة عاصمة مصر

البناء ذو طابقين موضوع بشكل هلالى من الوجهة ويصعد اليه من حديقـة واسعة بدرج يشبه المصاطب وممشى بين الزهور المختلفة الجميلة والنباتات والاشجار اليانعة حولها طرق من الاسفلت توصل الى السراى من طرفيها والترامواى يصـل من طريق منخفض عن الطريق المعد للسيارات وكل ذلك بغاية من النظام والاتقان فصعدنا من الطرف الايسر وقصدنا وزارة الزراعة حيث دخلنا عنـد المستر جرين الذى قابلنا مقابلة جميلة وعرض لى عما أرغب رؤيته والاستعلام عنه وبعد أن تكلمنـا عن كل ما يهمنى توجه معى الى مكتبة عظيمة بقسم الزراعة ومن هناك زرت الميجر الكسندر رئيس القسم السياسى التابع لادارة حاكم عام جنوب افريقيـا وهو اللورد اتلون وكان قديما يعرف باسم البرنس دوتك وهو شقيق ملكة انجلترا الحالية ولى به معرفة قديمة وجمعتنا الظروف كثيراً قبل ذلك وقد أخبرنى الميجر

أن جناب اللورد يرغب فى دعوتى للعشاء دعوة رسمية يدعو فيها نحو أربعين من العظماء والوجهاء بجنوب افريقيا ولكن اعتذرت وتأسفت لعدم امكانى تلبية دعوته للعشاء لانى لم اعد معى ملابس السهرة فى هذا السفر ولم أتعود الخروج ليلا فطلبت منه أن يعين لى موعدا لزيارة جناب اللورد فوعد أن يخبرنى تليفونياً باللوكاندة

وهذا الميجر الكسندر كان بالجيش المصرى ياورا للسير ونجت باشا ولما صار السير ونجت مندوبا سامياً فى مصر كان جنابه موجودا معه أيضا ولذلك يعرف كثيراً من المصريين وبعد أن رافقنا لمشاهدة الحدائق وعرفنا برئيس قسم النباتات تركنا معه موصياً هذا الرئيس بالاهتمام بكل ما أطلب وقد وجدناه أيضا رجلا مجاملا ظريفاً وسألنى عن كل ما يهمنى من النبـاتات فقلت له ان كثيراً من الناس بشرونى بوجود كثير من النباتات التى أبحث عنها فى جهة دربان ولكن علمت منه أن حديقة النباتات هناك قلت أهميتها منذ ضمت للبلدية ثم أخذنى لقسم الهرباريوم وهو قسم تجفيف النباتات وقدم لنا رئيس هذا القسم ثم أرانى سيدة ترسم النباتات بالبوية بألوانها الطبيعيـة لانهم يشتغلون الآن بعمل مجموعة علمية لزهور جنوب افريقيا وقد أتموا منها ثلاثة أجزاء ومن هناك توجهنا لرؤية نوع الصبار الذى يهمنى حيث عرفتهم عما أرغب اقتناؤه من هذه الانواع وقد وعدونى بارسال ما طلبته وكان وعدهم صادقاً ثم عدنا لتنـاول الغداء باللوكاندة فى الساعة الواحدة وربع بعد الظهر ولم أخرج باقى هذا اليوم لانى صادفت برداً

ألزمنى الفراش وفى الساعة التاسعة مساء أخبر مختار افنـدى بالتليفون
أن الحاكم العام يدعونى لتناول الغداء فى اليوم التالى وسيرسل لنا سيارته

يوم ٤ مايو صباحا كان الجو ملائما والسماء صافية والشمس ساطعة فمشينا فى الساعة التاسعة صـباحاً على الاقدام ولـكونه يوم الاحد كانت الدكاكين معطلة وفقط كنا نرى ما فيها من وراء الزجاج . المدينة مخطوطة على الطريقة الامريكية شوارعها متوازية ومتقاطعة واغلب منازلها بدور واحد وبلكونات أو تندات من الحديد مثل بور سعيـد لمنع المطر وحرارة الشمس فى فصل الصيف والشوارع نظيفة منتظمة والترامواى ايضا ومن الغريب أنه فى بلد مثل البلاد الاوروبية نرى كثيراً من الزنوج لابسين ملابس افرنجية وقبعات ولـكنهم حفاة الاقدام وقد لاحظنا عربات الاجرة التى تجرها الخيل أردأ حالة من عربات مصر وقد رأينا بالسوق عربات نقل تجرها خمسة ازواج من الثيران أو عشر ازواج من الحمير وذلك لصعوبة الطرق وبعد المسافات أما الخيول فقليلة لانها لا تتحمل المرض بهذه البلاد

وفى الساعة الثانيـة عشر والدقيقة اربعين جاءت سيارة جناب الحاكم العام فأخذت معى مختار افندى ولبسنا الطرابيش احتراما لسمو الاميرة زوجة اللورد الحاكم وقد وصلنا السراى بعد عشر دقائق ووجدنا على باب الحديقـة قره قول حرس من الجند اصطف لتحيتنا عنـد مرورنا وعنـد نزولنا من السيارة وجدنا السكرتير الخاص لجناب اللورد فى انتظارنا فصعدنا الى الدور الاول وقد قابلنا الميجر الـكسندر

ثم استقبلني جناب اللورد بغاية من اللطف وبعد حديث دام ربع ساعة صاحبنى الى الصالون حيث قابلت الاميرة وهى شقيقـة جلالة ملك انجلترا الحالى وكان يوجـد أيضاً كريمته وبعض سيـدات ورجال فصافحتهم جميعا ثم دخلنا الى صالة الطعام وهى فسيحة الارجاء مرتفعة السقف كبيرة النوافذ مشرحة وكانت سمو الاميرة زوجة اللورد عذبة الحديث بشوشة الوجه لطيفة المحيا وبعد انتهاء الطعام وتناول القهوة ودعتهم شاكراً فى الساعة الثانية ونصف حيث رجعنا الى اللوكاندة فغيرنا ملابسنا لعمل نزهة بالسيارة لرؤية المدينة وما بها مما يهم السائح رؤيته وكذلك بالضواحى فرأيت اكبر ميدان به الكنيسة وحوله مبانى شاهقة مبنية بالحجر منها سراى الحقانية وعلى بابها حجر منقوش عليه اسم رئيس الجمهورية القديمة الترنسفالية وهو معروف مشهور يدعى كروجر ثم عمارة البوستة وديوان الحكومة القديم وهذه هى المبانى الكبيرة الموجودة بالمدينة والشارع المقاطع لهـذه المبانى هو اكبر شارع بالمدينة يسمى شارع الكنيسة يبلغ طوله ستة اميال ثم مررنا بمنزل الرئيس كروجر وهو اليوم مستشفى ومن الشارع يرى الانسان الغرفة التى كان يسكنها وبها كثير من الاكاليل التى ارسلت بمناسبة وفاته تذكاراً لوطنيته واعترافا بفضله ثم مررنا بحديقة صغيرة بها تمثاله وعلى مقربة منها رأينا مدفنه . ثم مررنا بالضربخانة « لصك النقود » وستبدأ صك العملة هذه السنة ، ومررنا بمستشفى المدينة والسجن ، ويوجد ايضا مستشفى آخر كبير خارج المدينة خصيص لمرض البرص

وهو يسع ثلاثة آلاف مريض وذلك لانتشار هـذا المرض بجنوب افريقيا ثم مررنا فى نزهتنا بجبال ووديان حول المدينة وبمرتفع عال اقيم عليه حصن يسمى نمرة ٣ يشرف على المدينة ، والمنظر من هناك جميل ، ومما يدعو للغرابة تمكن الانسان من الرؤية على مسافات بعيدة فى هـذه البلاد مما قد يرجع سببه الى الضوء أو نقاوة الجو فكنا نرى الدخان المتصاعد من معامل جوهانسبرج الواقعة على بعد ٣٥ ميلا .
الاراضى ذات هضاب كثيرة مغطاة بالحشائش والارض المنزرعة هى التى فى الوديان

المدينة على النسق الاوروبى ، وقد مررنا بالجامعـة والمدارس وهى خارج المدينة وبها مدرسة للبنات ، ثم مررنا بحى به مساكن اغنياء المدينة وكبار موظفى الحـكومة ، وقد رأينا فى طريقنا كثيرين من الزنوج ونسائهم يتنزهون ، وكان يوم الاحد والاشغال معطلة والدكاكين مغلقة واغلب الجنس الابيض خارج المدينة للتنزه ، وقد لاحظت ان نساء الزنوج على غاية من النظافة لابسات ملابس نظيفة وعلى رؤوسهن مناديل حريرية ملونة ولو أن بعضهن حفاة الاقدام لـكنهن على اتم نظافة واود لو توفرت هذه النظافة عند الطبقة الفقيرة فى مصر ، أما الرجال من العمال فنادر ما يكونون فى زى نظيف وذلك لما تستدعيه اعمالهم واشغالهم

ان للزنوج فى هذه البلاد قوانين خاصة تختلف عن القانون العام فمثلا ممنوع عليهم السير على الارصفة ، وعليهم أن يفسحوا الطريق

للجنس الابيض ، وغير مصرح لهم ركوب الترام ، ولهم عربات خاصة بقطارات السكة الحديدية ، ولا يسمح لهم بدخول المحلات العمومية مثل البارات والقهاوى والتياترات والملاهى واللوكاندات ، وليس لهم أن يمروا بالشوارع بعد الساعة التاسعة مساء الا بجواز خاص يظهره للبوليس أثناء مروره ، وعلى كل زنجى أن يحمل معه تذكرة شخصية ومن لم يكن معه تلك التذكرة يعاقب بشدة ، والقانون يحرم عليهم تعاطى المشروبات الروحية وكذلك يحرم بشدة التزاوج بين السود والبيض وكل ما يقع بين زنجى وأبيض من خلاف يفصل فيه بقانونين قانون للزنجى وقانون للابيض ، وتلك المعاملة القانونية تتناول كل لون من بنى الانسان خلاف اللون الابيض حتى أننا لاقينا بعض الصعوبة بشأن خادمى الخاص وهو بربرى فاتح اللون وقد منع من ركوب الترام فى بريتوريا وعاد دون أن يعلم السر فى منعه كذلك رفض جرسونات اللوكاندة فى جوهانسبرج أن يقوموا بخدمته وتأدية طلباته لانه من الجنس الملون ولكن علمنا أن الحكومة فى عهد وزارة الجنرال سمطس كانت اعتزمت تعديل بعض تلك القوانين بالنسبة للاجانب الملونين مثل الهنود وغيرهم من التجار اذ طلبوا ذلك من الحكومة مراراً واحتجوا على هذه المعاملة تكراراً

مررنا فى طريقنا بحديقة الحيوانات فالقسم الذى به مساكن الهنود والعبيد ويتاجر أغلب الهنود فى الفواكه والاقمشة ، وقد وجدنا فيما رأينا فى طريقنا عربة جزار مكتوب عليها : جزار مسلم ولا عجب

فالاسلام منتشر أيضاً فى شرق أفريقيا وجنوبها وقد رأينا على جهة مرتفعة ما تبنيه الحكومة من الدور الصغيرة لاقامة الزنوج والتى تصير ملكا لهم بعد وقت معين مقابل دفعهم اقساطاً مقدار كل منها جنيه وربع

فى يوم ٥ مايو كان الجو ملبداً بالغيوم وذهبنا فى الساعة التاسعة والنصف الى حديقة الحيوانات والتى فيها رغم صغرها مجموعة جيدة من الحيوانات مثل النسانيس والتياتل والقرود وخلافها ، والحديقة جميلة من حيث نظافتها وما بها من النباتات والاشجار ، وقد علم مدير الحديقة بمجيئنا فحضر لمقابلتنا ، وقد أرانا أسداً كبيراً من بلاد السومال وهو وحش كاسر لم يمكنهم من الحصول على نتاج منه اذ أنه يفترس الانثى التى توضع معه ، ورأينا هيبوبوتام كبير . ذهبنا بعد ذلك الى حديقة النباتات لأوصى على بعض النباتات ثم رجعنا الى الفندق فى الساعة الواحدة فأخبرونا بأن الجنرال سمطس سيكون فى انتظارنا فى سراى الحكومة الساعة الثالثة بعد الظهر فتوجهنا لمقابلته فى الساعة المعينة فوجدته وقوراً وفى غاية من الظرف شأن كل موظفى حكومة جنوب أفريقيا الذين قابلتهم ، فتحادثنا مدة ثلاثة ارباع الساعة وعند انصرافى دعانى لتناول الغداء معه فى الكلوب « النادى » . عدنا الى الفندق وبعد قليل خرجنا للتريض سيراً على الاقدام ، رأينا فى طريقنا دكاناً صغيراً لبيع الجلود وعند دخولنا فيه دهشنا لسعته من الداخل وما به من رؤوس كثير من الحيوانات الوحشية كالتياتل والجاموس

محنطة على أتقن صورة ، وأعجبنا منها دقة الصنع فأخذت مذكرة بعنوان المحل وأثمان الاشياء المهمة وما تتكلفه من الاجر لاطلع عليها سمو الامير يوسف كمال لانه من أكبر المولعين بهذا النوع من الصناعة وعند رجوعنا الى الفندق وجدنا صورة الجنرال سمطس التى كان قد وعدنا بارسالها الينا كتذكار لسياحتى ومقابلتنا فى هذه البلاد وأما المدينة فى غاية النظافة ويستعمل لتنظيف الشوارع الكبيرة عربتان يسوق كل واحدة سائقون من العبيد ، ويلتقط بعض العبيد الفقراء أعقاب السجاير من الارض وبذلك تتم نظافة الشوارع

(يوم ٦ مايو) كان الجو رائقاً والهواء طلقاً فأخذنا سيارة وتوجهنا لزيارة مايهمنا رؤيته فقصدنا مدرسة الطب البيطرى والمعمل ، وتصرف الحكومة سنوياً على ذلك مبلغ ١٢٠٠٠ جنيها والمدير رجل قدير يدعى السير آرنولد تيلر وأصله من مدينة زيوريخ بسويسرا وتوطن الترنسفال منذ ثلاثين سنة وتحت ادارته عدد من العلماء الاختصاصيين ويهتمون فيها بدرس أمراض الخيل والبقر والغنم وكل الحيوانات المستعملة فى الزراعة

ومع أن النباتات كثيرة شائعة والمراعى غزيرة نضرة الا أن النبات فى هذه الجهات تنقصه مادة الفوسفور الضرورية لتغذية الحيوان ، وان الحيوان لفى حاجة شديدة الى تلك المادة فلذا يبحث البقر عن عظام الحيوانات ليأكلها معوضة بذلك مادة الفوسفور غير المتوفرة فى مرعى هذه الجهات ، وان عدم توفر الفوسفور فى الغذاء

يضعف الحيوانات ويفقد من شهيتها فتمرض وتظهر عظام كفلها الخلفية فتلحق بها البقر وتنهش تلك العظام البارزة . وينتهى هذا المرض عند الحيوان الى مرض تصلب الاعصاب وقد أجرى الاختصاصيون عدة تجارب للعلاج من ضمنها أن يكسروا بعض عظام الحيوانات ويجعلوا البقر يمر بجانبها فالمريض منها تستوقفها العظام لتأكل منها وبذلك يعلم نقص مادة الفوسفور فى مثل هذه الحيوانات فيعطوها مسحوقا من الفوسفور بكميات معلومة لالتهامها حتى تعوض النقص فى غذائها وبعد اجراء هذه التجربة مع كثير منها تجدها تنتظر بتلهف الساعة المعينة لتناول الفوسفور ، وقد أفادت هذه الطريقة فى علاج البقر فى جنوب افريقيا ، ووزع المعمل المذكور مادة لتطعيم حيوانات الاهالى مجانا بما يقدر بنحو أربعين ألف جنيه ، ولهذا المعمل مزرعتان تبلغ كل منها ثلاثة آلاف فدان لعمل التجارب اللازمة والاستفادة من الملاحظات التى تنتج عنها . ويوجد فى المعمل قسم خاص لاكتشاف ودرس الديدان المعدية فى الحيوانات ووجدوا أن أنجح علاج ضد هذه الديدان هو خلط كمية من ورق الدخان مع الغذاء المتناول . ذهب معنا لمشاهدة هذا المعمل طبيبان بيطريان تابعان لحكومة مدغشقر فدهشا مما شاهداه ومن كثرة المال المخصص لهذا الغرض وذكرا بأن حكومة مدغشقر لا تصرف عشر هذا المال للغرض نفسه . وبعد أن شاهدنا غرفة الجراحة وغرفة الميكروسكوب ومحال أخرى ودعنا المدير وانصرفنا الساعة الحادية عشر والدقيقة ٤٥ ، ومررنا

فى طريقنا بحقول واسعة مزروعة بأنواع الخضر وعلى نظام بديع أخبرنا السائق أنها تابعة لايطاليين ، ورأينا أيضا فى طريقنا شجرة كبيرة يطلقون عليها اسم الشجرة البديعة ، وصلنا الفندق فى الساعة الثانية عشر والنصف فوجدنا مستر ريس مدير فرع شركة كوك بجوهانسبرج وكان فى انتظارنا للاتفاق على محلاتنا فى الباخرة ، بعد ذلك ذهبنا الى النادى تلبية لدعوة المستر سمطس لتناول الغداء وكان قد دعا أيضا الدكتور ايفانس رئيس قسم النباتات وكذلك رئيس ادارة الترنسفال فتناولنا الغداء جميعاً وتجاذبنا أطراف الحديث وودعناهم شاكرين لهم ما لقينا من الحفاوة ، ورجعنا لاعداد لوازم السفر وقد رأينا أثناء طريقنا أولاداً من الهنود لابسين الطرابيش راكبين عربات استأجروها بادية عليهم علامات الفرح والسرور فعرفنا أنهم محتفلون بعيد الفطر ، هكذا شأن الهنود فانهم لا يتركون الفرصة تمر دون اظهار تقاليدهم وعواطفهم الدينية

غادرنا بريتوريا قاصدين جوهانسبرج وكانت الساعة الخامسة والدقيقة عشرين وتبلغ المسافة بينهما ٤٥ ميلا وقف القطار فى أثنائها بمحطة جرمستون التى بها معادن الذهب ، ولما وصلنا الى محطة جوهانسبرج ونزلنا الى الرصيف نمرة ٢ لركوب القطار الى مافيكنج وبولاوايو ، تحرك القطار فى الساعة السابعة مساء فانتقلنا الى عربة الاكل لتناول طعام العشاء فوجدناها تفضل مثيلتها فى قطار لورنس ماركيس ، واهتزاز العربات فى هذا الخط قليل فتمكنا من قضاء ليلة هادئة ،

وهذا الخط يعوزه الكبارى وتنقصه الانفقة « تونيل » ، وصلنا مدينة مافيكنج فى الساعة السابعة صباحا وهى على ارتفاع ٤١٩٤ قدم عن سطح البحر وعدد سكانها ٢٢٩٧ وهى نقطة مهمة فى المواصلات الحديدية وبعد أن كانت منتهى خط الكاب أصبحت حلقة اتصال بين الترنسفال والبكيوانالاند ويسكنها حاكم البكيوانالاند ، وعلى مسافة ميل منها توجد قرية عبيد يسكنها ثلاثة آلاف نسمة مع رئيس قبيلتهم التى تدعى بازالنج وهؤلاء هم الذين ساعدوا البوير فى فتح هذه البلاد ولذلك تركوا لرئيس هذه القبيلة حق الحكم والادارة فى قبيلته ، وقد أنشأ الانكليز مدينة مافيكنج فى سنة ١٨٨٥ ومنها ابتدأت ارسالية الدكتور جمس الى الماتابلى وتبع ذلك انضمام روديسيا لمستعمرات انجلترا ، ويوجد بهذه الاراضى مراعى صالحة غنية ويقال أن الحمير والخيل تلائمها هذه البقعة اكثر من باقى بقاع جنوب أفريقيا ، والاهتمام كبير لتربية النعام ، والمنظر يكاد يكون متشابهاً طول الطريق فالاشجار العالية لا تزيد ارتفاعها عن اربعة أمتار ، والارض تكسوها الخضرة والحشائش ، ويوجد بالجهة الغربية صحراء كالهارى ولكن لم نرها لمرورنا ليلا .

يبيع العبيد فى المحطات جلوداً لبعض الحيوانات وتماثيلا من الفخار والخشب ويظهر عليهم الهدوء والفقر . وقد رأينا قبيل الغروب أسراباً من الجراد وهو أقل حجماً من الجراد فى مصر ، ورأينا كذلك كثيراً من النعام واجتزنا حدود روديسيا ودخلناها فى صباح يوم ٨

مابو ومما هو جدير بالذكر أنه كان فيما مضى قد حذر حاكم ماتابلى
المسمى موزيلكاتس رجاله وأتباعه من حفر الارض والجبال والانهار
لالتقاط الذهب ، وذلك حتى لا يطمع الاجانب والمستعمرون فى
امتلاك البلاد اذا هم رأوا غناها وذهبها ؛ وفى سنة ١٨٨٩ كان فى
عزم البوير وغيرهم أخذ هذه البلاد فلما أحس الانكليز بما يدور فى
الخفاء ابتدأ المدعو سسل رد رئيس شركة جنوب أفريقيا الانكليزية
بالهجوم على هذه الاراضى فى خمسماية من الرجال مسلحين بالاسلحة
الحديثة وأخذ فى ضم هذه الاراضى الواسعة الى الاملاك الانجليزية حتى
وصل نقطة تسمى الآن قلعة سلسبرى وذلك فى ١٢ سبتمبر سنة ١٨٩٠
فأسس شركة باسم شارترد قومبانى لادارة هذه البلاد وظلت الحالة
هادئة الى سنة ١٨٩٣ حيث ابتدأت عشيرة الماتابلى بالهجوم على
البيض وقتلت كثيراً منهم وهاجمت قلعة فيكتوريا ولكن ما لبث
أن انعكس الحال ولما رأى ملك الماتابلى أنه على وشك الانهزام حاول
الهروب وعبور نهر شانجانى فلم يتم له ذلك اذ أحدق به الماجور وكش
بمن معه وقتلوه ، وبعد شهر توفى الملك الآخر المدعو لونجولا فتم
النصر للانكليز اذ ضعفت قوة العبيد بموت ملوكهم وانهزام رجالهم
وأذعنوا فى سنة ١٨٩٥ أطلقت الحكومة الانكليزية على هذه البلاد
اسم روديسيا وذلك نسبة الى سسل رد اعترافاً بفضله وفى سنة ١٨٩٨
تمكن الانكليز من امتلاك جنوب روديسيا وحافظوا على الشجرة
الكبيرة التى كان ملوك العبيد ينفذون تحتها الاعدام على المحكوم

عليهم من رعاياهم وكانت عاصمتهم تسمى بولاوايو ومعنى ذلك باللغة الزولية « زولو » محل قتل الناس

يوجد فى الضواحى الفحم والاسمنت بكثرة ، أما الذهب فقليل ومدينة بولاوايو مخططة على نظام مدن جنوب أفريقيا فالسوق فى وسط ميدان متسع وسط المدينة ، والشوارع متجهة من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ، وعلى جانبى هذه الشوارع أشجار على امتدادها، ومساحة المدينة كبيرة لاتساع شوارعها ، ولان منازلها ذات طبقة واحدة، وأهم مبانى المدينة هى دار البوستة وسراى الحكومة ودار البلدية والمحكمة والبورصة

ان روديسيا مقسمة الى ثلاثة أقسام فالحاكم العام يقيم فى فورسلسبرى وللقسم الشمالى رئيس ادارة فى لفنجستن ومدير القسم الجنوبى يقيم فى بولاوابو . سافرنا من بولاوايو الساعة الواحدة بعد الظهر قاصدين فيكتوريا فولز الواقعة على بعد ٢٩٠ ميل ، وهذه المسافة يقدر لقطعها فى البلاد الاخرى مدة ست ساعات تقريباً ، الا أنها هنا تقطع فى ١٦ ساعة، والقطار يسير بغاية البطء والعربات أضيق من العربات فى الترنسفال وحالتها رديئة بسبب شدة الحرارة وكثرة التراب كذلك لم يكن الغذاء بالقطار جيدا . لا يوجد من المناظر فى طريقنا ما يستحق الذكر وفى الساعة الواحدة صباحا وقف القطار فى محطة كبيرة مضاءة بالكهرباء ولما نظرت من النافذة رأيت المعامل والمناجم تشتغل ليلا . تيقظت الساعة الخامسة صباحا وكان ذلك وقت الشروق

فى سماء صافية ومناظر جميلة . ورأينا من بعد سحابة كثيفة عامنا أنها ناتجة عن شلالات فيكتوريا فلز . وصل القطار فى ميعاده المحدد أى الساعة السادسة والدقيقة ٢٠ فوصلنا على الاقدام الى الفندق فى خمس دقائق ، فسررنا اذ وجدناه بديع الشكل مستكملا لاسباب الراحة والنظافة . وأن الانسان ليعجب أن يرى بلادا كانت فى الماضى القريب مرتعا للوحوش وموطنا للزنوج لا امان فيها ولا فرق بين وحشها وانسها، بلادا كانت هذه حالتها تتحول الى حالتها اليوم فيسكنها المتمدينون ويؤمها السائحون وفيها ما يكفل للمرء الطمأنينة والراحة ، وبها هذا الفندق العظيم الحديث النظام الجميل المقام . وجدنا أن كل الخدم من العبيد الا القليل من الافرنج ، ووجدنا خادما من زنجبار يتكلم العربية ، وكم يسر الانسان اذ يرى من يتكلم بلغته فى بلاد غريبة نائية وكنت أود أن أرى بين من أرى من أهل الهند وجاوا وزنجبار وغيرها مصريين ينقلون الى تلك البلاد لغتهم وما يمت اليها لاسيما وان المصريين يعلمون انهم أرقى أهل البلاد العربية ان لم تكن الشرقية فكان من الواجب عليهم أن يضربوا فى الارض ليستطلعوا عجائب الدنيا فينقلون الى وطنهم ما ينقصه من ثمار الطبيعة وما غاب عنه من بدائع الفكرة الانسانية من مخترعات فنية ونظامات مختلفة كباقى الامم المتمدينة التى امتازت بالنشاط والتزاحم فى سبيل الحياة القومية

بعد ساعة من الاستراحة ووصول منقولاتنا الى اللوكاندة نزلنا الى عربات « ترولى » تسير على شريط حديدى ويدفعها الزنوج

حيث أقلتنا الى كوبرى السكة الحديدية وهو معلق يرتكز بطرفيه على الشاطئين فقط حيث يبلغ ارتفاعه عن سطح الماء ٣٥٠ قدما ولا يعلم عمق الماء فى هذه البقعة لشدة التيار وأما الارتفاع من منتصف الكوبرى الى سطح الماء فيبلغ خمسمائة قدم وذلك أعلى كوبرى وجد فى العالم ويبلغ طوله ٦٥٠ قدما وقد تم بناؤه فى سنة ١٩٠٤ . سرنا على هذا الكوبرى حيث رأينا أول مرة منظرا عموميا للشلالات وهى مدهشة مهيبة وأول أوروبى اكتشفها هو الدكتور ليفنجستون فى سنة ١٨٥٥ ميلاديه وقد سماها على اسم الملكة فيكتوريا « شلالات فيكتوريا » بنهر الزنبيرى وتكثر المياه فى وقت فيضانه فى شهر ابريل حيث يزيد ارتفاع المياه عن الحالة العادية خمسين قدما ومن الغريب أن هذه الشلالات ليست كغيرها مما يراه أو يتصوره الانسان كانحدار المياه فى مجراها اذ الأرض مستوية وانما تأتى مياه النهر الى هذه النقطة من الشلالات فتسقط الى منخفض عميق ضيق أشبه بواد أحدثته قوة المياه مع الازمنة الطويلة حيث شقت بين الارض المستوية واديا عميقا ويوجد فى أمريكا ما يشبه ذلك بنسبة صغيرة ويسمونه كانيون

يبلغ عرض نهر الزنبيزى قبيل الشلالات ميلا وربعا حيث هناك يوجد كثير من الجزائر صغيرة وكبيرة ثم ينقسم الى أربعة أقسام فالقسم الجنوبى يسمى شلال العفريت ويبلغ عرضه ٩٠ قدما وتسقط منه المياه الى عمق ٢٥٠ قدما ثم الشلال الكبير الذى بين جزيرة لفنجستون

وجزيرة الشلال وهذا تقسمه صخرة كبيرة الى قسمين القسم الاول عرضه ٥٧٣ ياردة والآخر ٣٢٥ ياردة ثم شلال قوس القزح وعرضه ستماية ياردة وبعده الشلال الشرقى حيث رأيناه أول مرة وكان لجلال منظره فى النفس ما يورثها اعترافا بقدرة الخالق وعظمته ويبهر العين بجمال الطبيعة . ذهبنا من هناك لرؤية غابة كثيفة من النخيل منخفضة عن سطح الارض يسمونها مغارة النخيل وبعد مسافة قصيرة عدلنا عن الذهاب اليها لان طريقها وعر ومن تلك النقطة يرى الانسان وهو فى المنخفض العميق مع مستوى الماء تيارا شديدا بدوامات مزعجة قادمة مع الماء من مصب الشلال ويوجد أحيانا فى هذه الجهة بعض التماسيح وأثناء عودتنا حيث كان الطقس حارا استرحنا قليلا على مقعد تحت شجرة نسرح نظرنا فى عجائب الطبيعة فرأينا نسانيساً فى الوادى تقفز على الأشجار وتداعب بعضها وتصرخ فكان لنا منها تسلية مضحكة ثم استأنفنا سيرنا فى العودة الى اللوكاندة ومن هذا الطريق يوجد طريق الى بلدة ليفنجستون عاصمة روديسيا الشمالية وهى تبعد سبعة أميال من الشلالات . بعد الظهر أشير علينا بالذهاب لرؤية الغابة الممطرة أو غابة الامطار فارتدينا المكنتوش « أى بالطو المطر » على ثياب خفيفة وقبعات خصيصة للمطر وقمنا فى الساعة الرابعة مساء بعد تناول الشاى وكان معنا الدليل الزنجى فوصلنا الى نقطة بأول الكوبرى تسمى الجهة الخطرة وحقيقة أن الارض مقطوعة الى أسفل عميق ومن الخطر أن يقف الانسان على حافة المنحدر أو يسير بالقرب منه لاحتمال

انهيار الارض من الحافة ومن هناك رأينا عظمة المنظر المهيب الهائل لهذه الشلالات وكان المطر يهطل علينا بغزارة والحقيقة أنه ليس مطر عادى وانما هى المياه المتصاعدة من قاع الشلال بشكل البخار بعد سقوط المياه واصطدامها بالحجارة وما ينشأ عن ذلك من ضغط الهواء الذى يقذف برشاش الماء الى ارتفاع يبلغ من خمسين الى مائة مترا عن سطح الارض فيكون سحابة ممطرة باستمرار ثم دخلنا غابة كثيفة بمختلف الأشجار تشبه الغابات الوحشية بخط الاستواء التى تستلزم لمن أراد السير فيها ان يخترق طريقه بين أشجارها المتعانقة الأطراف كذا قد وجدنا بها بعض طرق متجهة نحو الشلال فسرنا فى احداها وجهة شلال قوس القزح وهناك رأينا قوس قزح كامل الدائرة كان مثل حلقة تمر بجانب قدمى وبجانبه قوس قزح آخر وأظن أن هذا ناشىء عن الماء والشمس ويقال أيضا أنه يرى كذلك فى الليالى المقمرة ثم مررنا فى سيرنا وسط الغابة بأشجار من الفيكس والنخيل وغيرهما الى أن وصلنا نقطة رأينا منها الاربعة شلالات حيث كان المنظر مدهشا يأخذ بالعقول والابصار فنطقت قلوبنا بعظمة مجد الخالق وأعجبنا بعجيب صنع منشىء الأكوان وقدرنا فوائد السياحة وواجبها على كل انسان استطاع اليها سبيلا خصوصاً من تيسر له المال والوقت حتى يفوز بمشاهدة بدائع الكون فى عصر امتاز عن العصور الماضية بكثرة المخترعات وغرائبها مما ذلل عقبات الاسفار على سطح المعمورة براً وبحراً وفى الهواء وغير ذلك مما يعلمه الخاص والعام

كان معنا اثناء عودتنا فى عربات الترولى رجل بلجيكى مع عائلته يقصد فى سفره بلدة اليزابث فيل وهى واقعة جنوب خط الاستواء باحدى عشر درجة ويقال أنها أنشئت على النسق الاوروبى ولما كانت المعادن على اختلافها فى تلك الاقطار تجلب الاوروبيين اليها تراهم يهيئون بها من وسائل الراحة وحاجيات المعيشة مايلزمهم لتسهيل الاقامة بها

ان خط السكة الحديدية الموجودة بتلك البقاع « روديسيا » هى الجزء الجنوبى من خط السكة الحديدية المزمع انشاؤها منذ زمن بين مصر والكاب

يوم ١٠ مايو كان الطقس حاراً فمشينا لرؤية شجرة كبيرة اسمها بواباب ولكن لم نجدها اكبر من الاشجار التى بالزنجبار واثناء عودتنا مررنا بشاطىء نهر الزامبيزى وسط الاشجار فصادفنا مكانا لم نكن رأيناه من قبل وهو على شلال العفريت ميزته الطبيعة بجمال يسحر الانظار فمكثنا قليلا لتأخذ العين قسطا من رائع جمال الطبيعة ثم رجعنا الى اللوكاندة ومنها الى بائعين بمنزليهما جوار المحطة يبيعان اشياء من صنع تلك البلاد وأهلها . يوم ١١ مايو كان الطقس لطيفا والجو دافئا فأمضينا نصف النهار فى راحة وهدوء وبعد الظهر فى الساعة الثانية ذهبنا لركوب موتربوت بقصد التنزه بنهر « الزامبيزى الأعلى » ولرؤية عدة جزائر فى وسط النهر وكان الموتور نظيفا بقوة ٣٠ حصاناً ولاحظنا أن سائقه الانجليزى قد وضع اشارات من عصى حديدية قائمة

فى النهر ليستدل منها على خط السير بالنهر لان به صخوراً عالية وليس عميقا بقدر الكفاية فى كل جهاته وكانت الشواطىء والجزر فى زى جميل بها كثير من الاشجار المتدلية فى النهر وسرنا حتى وصلنا الى جزيرة صغيرة تسمى كالاى فوجدنا بها زوارق صغيرة لاشخاص جاؤا للتنزه من لفنجستن ومعهم غذاءهم حيث أمضوا يومهم تحت ظل الاشجار الكبيرة بتلك الجزيرة ولقد وجدنا فى وسط الغابة طريقا أو ممراً لمرور السائحين وكذلك بعض مقاعد من الخشب وليس هناك خوف من وحوش أو حشرات لانها خالية من ذلك فقط توجد الطيور ويوجد ايضا النمل الابيض بكثرة وقد يستلفت نظر الانسان اثر ما يعمله هذا النمل اذ تراه ينخر الشجر الكبير حتى يقطعه فيقع وكذلك يفحر فى الارض وينشىء من التراب ما يشبه عاموداً وتحته أشبه بمغار ليكون بيتاً له به طرق وبيوت منفصلة عن بعضها ، ثم مررنا بالجزيرة فوصلنا على مقربة من شلال صغير يبعد ثمانية أميال من الشلالات العظيمة وهناك وقفنا بجانب جزيرة تسمى كاندهار تذكاراً لزيارة اللورد روبرتس أوف كاندهار لها بعد حرب البوير وأنها تشابه الأخرى سوى ما وجدناه بها من نوع الياسمين الزكى الرائحة وآسف لعدم وجود بذور منه .

النهر عظيم فى اتساعه حتى أن المياه عند ما تعلو ثلاثة أقدام فى جهاته الواسعة يبلغ علوها فى مضايق الشلالات خمسين قدماً . عدنا بعد هذه الفسحة بالموتور ونزلنا الى الشاطىء من حيث تذهب الى

اللاوكاندة ومررنا فى طريقنا مرة أخرى بالنقطة التى تطل على شلال العفريت .

يوم ١٢ مايو كان موعد سفرنا من فيكتوريا فولز فى الساعة ١٢ وليس هناك فى طريقنا ما يستحق الذكر . وفى يوم ١٣ مايو صباحاً وصلنا الى بولاوايو وبعد طعام الفطور بسرعة قمنا فى الساعة الثامنة ونصف بالسيارة لرؤية تلول ماتوبوس وكان الهواء شديداً والجو بارداً وكان الطريق متعباً قليلا وذلك لقلة الآهلين من السكان ولبعد المسافات فلا يمكن أن تكون الطرق مثلها بأوروبا وكان الجو ينذر بمطر ولكن تحسنت حالته وسطعت الشمس وبعد سبعة عشر ميلا من المدينة مررنا بلوكاندة صغيرة بجانبها تفتيش كبير يبلغ مائة وخمسة عشر الف فداناً أهداه سسل رود للحكومة التى أنشأت لتلك الاراضى خزان مياه كبير فى سنة ١٩٠٣ يسع ٩٠٠ مليون جالون من المياه وقد صرف لعمله ثلاثين الف جنيه ومما ساعد فى قلة المصاريف أن استفادوا من وجود جبلين بشكل سور حول المياه والحكومة تعطى من هذه الاراضى قطعاً ذات الالفين فدان بالايجار وقبل وصولنا الى مدفن سسل رود بأربعة أميال مررنا من بوابة وسط حديقة كانت تابعة لسسل رود وأعطيت مع التفتيش للحكومة والابواب الموضوعة فى نهايتى الطريق أهديت من مستربايت وهو من كبار الماليين بجنوب افريقيا بعد سسل رود . قد تغيرت المناظر بعد اجتيازنا تلك البوابة اذ رأينا التلول عبارة عن صخور كبيرة ذات ألوان مختلفة موضوعة فوق

بعضها بأشكال غريبة على حالتها الطبيعية ثم وصلنا الى موضع المدفن
حيث وقفنا فوجدنا مستر داوست رئيس ادارة التفتيش فى انتظارنا
ليرينا ماتهم رؤيته فصعدنا سيراً على الأقدام الى مرتفع فى مدة ٢٠
دقيقة اذ وصلنا الى قمة صخرية بها قبر منحوت فى الصخر ومغطى
بلوحة حديدية مكتوب عليها « هنا يرقد سسل رود » وبجواره مرقد
الدكتور جيمس وله شهرة محترمة فى تاريخ جنوب افريقيا وعلى بعد
ثمانين ياردة من هذه النقطة يوجد تمثال مربع من حجر الجرانيت وعليه
من الاربع جهات هياكل من النحاس بصور أشخاص المحاربين
المتطوعين تحت رئاسة الماچور الن ولسن الذين قتلوا فى معركة مع
الزنوج بجوار نهر شانجانى .يقال ان هذا الموضع المرتفع الذى به المدفن
كان يعتبر عند عبيد أو زنوج الماتابيلى مكانا مقدسا . بعد ما شاهدنا
من هذه القمة الوفا من التلول والوديان التى تحيط بها وهى ذات أشكال
غريبة نزلنا قاصدين العودة فودعنا المستر داوست الذى أفهمنا بوجود
طريق آخر جديد وقد وصفه للسائق فركبنا السيارة وسرنا من
هذا الطريق الى أن وصلنا اللوكاندة الساعة الواحدة بعد الظهر وقد
أردت الراحة قليلا بعد طعام الغداء ولكن فى الساعة الثانية ونصف
بعد الظهر جاء مختار افندى وأخبرنى بوجود بعض من الهنود جاءوا
لزيارتى فارتديت ملابسى وذهبت لمقابلتهم فوجدت اثنين من الهنود
وثالثهما من جاوا وهم من زعماء الجمعية الاسلامية فى مدينة بولاوايو
فدار الحديث بيننا عن حالة المسلمين هناك وبعد قليل انصرفوا وحيث

كان لدينا متسع من الوقت قبل قيام القطار قد قطعت المسافة الى المحطة سيرا على الاقدام فوصلت الى الرصيف قبل قيام القطار بعشر دقائق فقصدت الى الديوان المخصص لى بعربة القطار فوجدت بعضا من الهنود جاؤا لتوديعى ومعهم بنت صغيرة تسمى حنيفة قدمت لى باقة من الورد والزهور وكان معهم ثلاث سيدات من الهنود ايضا فشكرتهم على رقيق إحساسهم وجميل شعورهم بالرابطة الدينية والعلاقة الشرقية ثم قام القطار فى الساعة الخامسة مساء ولا حاجة لوصف ما بالطريق لان مابه سبق وصفه اثناء مرورنا من جوهانسبرج الى بولاوايو فقط لا يفوتنى أن أذكر ماصادفناه فى اليوم الثانى بالقطار حوالى الساعة واحدة بعد الظهر اذ غشينا سحاب كثيف حجب عنا الشمس وهو عبارة عن ملايين من الجراد فكان ينكشف ذلك السحاب تارة ويغشانا تارة أخرى واستمر على ذلك نحو نصف ساعة فقفلنا النوافذ والابواب اذ دخل بعضه من النوافذ

فى يوم ١٥ مايو صباحا حوالى الساعة الخامسة كان القطار واقفا بمحطة جوهانسبرج وهذه المدينة مرتفعة عن سطح البحر بمقدار ٥٧٤٠ قدماً ويبلغ سكانها نحو ١٥٤ الفا من البيض و١٣٨ الفا من الزنوج والشرقيين أى الملونين وهذه المدينة انشئت فى سنة ١٨٨٦ وكانت الاراضى اذ ذاك بخسة الثمن لا قيمة لها حتى أن اصحاب المراعى كانوا يستبدلون جزءا كبيراً من مساحة الارض نظير اثنى عشر ثوراً « ثمن الثور من خمسة الى عشرة قروش » وفى اوائل سنة ١٨٨٦ اكتشف الذهب فى

تلك البقعة فبدئ بتأسيس المدينـة وانشائها وحينئذ ارتفعت قيمة الارض حتى أنه بعـد تسع سنوات من تأسيس المدينة بيعت قطعة ارض للبناء فى شارع من شوارعها بمبلغ اثنـان وعشرين الف جنيه وبعد سنتين صارت قيمتهـا أربعين الف جنيه وعلى ذلك اخذ ارتفاع الاثمـان واتساع المدينة فى استمرار وازدياد حتى أنه فى سنة ١٩١٨ بعد انتهـاء الحرب الكبرى اشترى احد المصارف المالية قطعة ارض مربعة طولها خمسين قدماً وعرضها كذلك بمبلغ خمس وعشرين الف جنيه

يعتبرون هنا أن جوهانسبرج اكبر مدينة افريقية بعد القاهرة من حيث مساحتهـا وعدد سكانها وقد بلغت هذه المدينة الى حالتها الحاضرة من الاهمية والاتساع فى مدة خمس وثلاثين سنة وهذا مما يدهش الانسان اذا تذكر أنه قبل تلك المدة كانت تلك الاراضى عبارة عن صحراء وقد أصبحت الآن مدينة جميلة ذات بساتين وأشجار تحوطها غابات منشأة بيـد الانسان ومما يزيد أهميتها أنها واقعة فى وسط بلاد أفريقيا الجنوبيـة اذ تصل اليها المتاجر من الكنجو وروديسيا شمالا ومتصلة أيضاً من الشرق بمرفأين كبيرين وهما دلاجوا ودربان ومتصلة أيضاً بمدينة الكاب جنوباً وبمرفأ ولفشباى غرباً فهى مركز تقابل بين أكبر مدن جنوب وأواسط أفريقيـا . تنقسم المدينة الى مائة وستة عشر قسما ومما زاد فى اتساعها وجود مناجم الذهب بوسط المدينـة ويبلغ طول طرقها التى تصرف عليها البلدية سبعمائة ميلا ، بها أبنيـة

ضخمة حديثة الطراز منها دار المحافظة صرف فى انشائها ٤٥٠ الف جنيه ودار المحكمة العليا صرف فى انشائها ١٣٥ ألف جنيه وبها البورصة المالية ومدرسة المعادن ودار الكتب وجملة كنائس ومعبد لليهود الذين يبلغ عددهم خمسين فى المائة من أهل المدينة ويبلغ عدد المعابد على اختلافها مائة وستين ومستشفى كبير صرف فى انشائه ١٢٠ ألف جنيه وكذلك صرف لبناء المذبح « ساخانة » مبلغ خمس مائة ألف جنيه يذبح به سنويا ستمائة ألف حيوان ويوجد بها ميادين لسباق الخيل وللالعاب الرياضية وكل ما يلزم لمدينة عظيمة غربية حديثة

نزلنا بلوكاندة كارلتن فى تلك المدينة وهى تضاهى لوكاندات أوروبا العظيمة وقد سررنا لما جاءنا مستر ريس وكيل محل كوك فى الساعة التاسعة صباحا وأخبرنا أنه حجز لنا غرفا على أكبر باخرة ستغادر الكاب الى أوروبا فى يوم ٦ يونيه

نزلنا للسير قليلا فى شوارع المدينة ثم عدنا وفى الساعة الثالثة بعد الظهر ركبنا سيارة وذهبنا الى حديقة الحيوانات وهى شهيرة بانتاج السباع وتوليدها وهذه الحديقة على أرض واسعة الأرجاء تحت ادارة البلدية التى لها ايراد عظيم وجعلت دخول الحديقة دون مقابل وقد شاهدنا بها كثيراً من السباع وأشبالها وحيوانات أخرى مختلفة الأجناس ثم خرجنا فى الساعة الخامسة وربع للعودة الى اللوكاندة حيث مررنا فى طريقنا بكثير من أشجار الكافور والصنوبر وقد أنشىء كل هذا فى ثلاثين عاما وذلك مما يدل على أنه لو أردنا انشاء مثل ذلك فى

مصر لامكننا دون أى صعوبة ثم مررنا بالحى الذى يسكنه الاغنياء وهو فى غاية من الرونق والنظام فوصلنا اللوكاندة الساعة السادسة مساء

يوم ١٦ مايو كان الطقس حسنا وفى الساعة ٩ صباحا جاء مستر ريس وكيل محل كوك فذهبنا معه لادارة مناجم الذهب حيث عرفنا برئيس الشركة المستر صامويل ايفينس وهو رجل كبير السن كان فى مصر سنة ١٨٨٥ وكيلا للسير ادجار فينس الذى كان مستشاراً مالياً بمصر فى ذلك العهد وكان قد سافر معه الى الاستانة لتأسيس البنك العثمانى ومن هناك انتدب للذهاب الى بغداد وطهران لتأسيس فروع هذا البنك وبذلك سنحت له فرصة السياحة فى بلاد الشرق مما زاده خبرة فائقة فى ادارة الاعمال المالية الكبرى ، وبعد التعارف والتحية نزلنا جميعاً وركب هو ومختار افندى سيارة وتبعناهما فى سيارة أخرى حتى وصلنا الى مكتب ادارة المناجم بعد عشر دقائق وهناك تعارفنا برئيس الادارة مستر ولتن الذى استقبلنا فى مكتبه وقد أخبرنا أن هذه الشركة كونت بانضمام ثمان شركات فصارت شركة واحدة تسمى شركة مناجم كروتر والآن يحفرون الى عمق ثلاثة آلاف قدم تحت سطح الارض فى مساحة عرضها ثلاثة أميال وطولها ثلاثة وهذه المساحة تحت سطح الارض ويوجد خمسة عشر منفذاً للنزول اليها ولارسال الاتربة والحجارة التى تحفرها الى سطح الارض وجميع الآلات والماكينات بهذا المنجم تدار بقوة كهربائية تصل اليه من مسافة تبعد عنه وعن المدينة أربعين ميلا ويوجد داخل المناجم فى بطن الارض سكة

حديدية تسير عليها عربات حمولتها ثمانية أطنان لحمل الحجارة المستخرجة من الحفر وعند تمام استيفاء تعبئة العربات التى حمولتها ستين طنا يذهب القطار الى مصعد كهربائى يرفع عربة فعربة من حمولة ذات الثمانية أطنان الى سطح الارض حيث يفرغها على ملف من الحديد يبلغ اتساعه مترا « يشبه السير العريض » وطوله ستون مترا ويدور الى أعلى بميل خفيف وهو يحمل الحجارة حيث يوجد بجانبيه عمال من العبيد يلتقطون الحجارة الخالية من التبر فيلقوها خارجاً ويتركون التى بها التبر اذ تختلف عن الاولى بوجود قطع بللورية اللون ملتصقة عليها وأثناء انتقال الحجارة بدوران هذا السير الحديدى ترش عليها المياه بواسطة جهاز تخرج منه المياه بشكل الرشاشات حتى تمنع تصاعد التراب الذى يضر بالرئتين فيسبب أمراضاً صدرية ويبلغ مقدار المياه التى تصرف فى هذا المنجم يومياً مليونين من الجالونات فجزء من هذه المياه يؤخذ من نهر والجزء الآخر يؤخذ من قاع المنجم بواسطة طلمبات خاصة ترفع المياه الى سطح الارض ويوجد لهذه العملية طلمبة فى الطبقة التاسعة عشر تحت سطح الارض ترفع المياه الى الطبقة الثالثة عشر حيث ترفعها طلمبة أخرى الى سطح الارض وهذه الطلمبات ترفع يومياً ثلاثمائة وخمسين الف جالونا من المياه التى تكرر بعد رفعها بواسطه آلات مخصوصة لتصير مياهاً صافية نظيفة . ان أعمق فتحة موجودة الآن هى على مسافة تبلغ خمسة آلاف وخمسمائة قدماً تحت سطح الارض ينزل اليها العمال بواسطة مصعد كهربائى يقطع هذه المسافة فى خمس دقائق وذلك لئلا

يضيع من العمال وقت فى نزولهم . يوجد خمسة آلاف مروحة كهربائية كبيرة لارسال الهواء اللازم للعمال تحت سطح الارض اذ تبعث اليهم مقدار ستماية الف قدماً مكعباً من الهواء فى الدقيقة الواحدة وذلك ما يلزم لأجل تنفس العمال ولايجاد جوحيوى تحت الارض . بعد فرز الحجارة وانتقاء الصالح منها ترسل الى آلات طاحنة تجعلها تراباً وتلك الآلات تطحن خمسماية طن من الحجارة فى الساعة ثم تنقل فى عربات حمولة خمسين طناً الى طاحونة أخرى لأعادة الطحن ولغسيله بالمياه ومع دقة هذا العمل يستخرجون مقدار ستين فى المائة من الذهب الموجود بالتراب ثم بطريقة أخرى تكميلية يستخرجون خمس وثلاثين فى المائة فيتبقى خمسة فى المائة من كمية الذهب الموجود بالتراب وهذا يعد فاقداً فى اجراء هذه العملية الدقيقة لاستخراج الذهب من الحجارة والاتربة وهذا لعمرى جزء ضئيل بالنسبة للفائدة الكبرى التى تنتج باستعمال الطرق الفنية والماكينات فى مثل هذا العمل خصوصاً اذا حسبنا السرعة واقتصاد الوقت بفضل تلك الآلات الفنية وتلك لاشك معجزة واضحة تشهد بفضل تقدم الاختراع والفنون . ولقد علمنا أنهم عملوا تجربة وصلوا بها فى الحفر الى عمق ستة آلاف وأربعمائة قدم عن سطح الارض وهذا يكون مع مستوى سطح البحر

ذهبنا الى جانب من المنجم لمشاهدة صب الذهب وجعله سبائك فوجدنا أفرانا خصيصة لاذابة الذهب وقد صبوا أمامنا قالبا من الذهب تبلغ قيمته سبعة آلاف جنيه وهو حجم القوالب التى شاهدناها أمامنا

معدة للبيع وقد رأينا على طاولة قطعا من الذهب بحالاتها المختلفة عقب استخراجها وهى بعد تنظيفها بمواد كيماوية تظهر ذهبا خالصا بشكله العادى المعروف للناس

ثم مررنا بالعنابر حيث يوجد بها مختلف أنواع التجارة والحدادة والسباكة وغير ذلك من الصناعة التى تلزم للمناجم ثم ذهبنا لنستعد للنزول الى المنجم فدخلنا مكتب رئيس هذا القسم حيث البسونا بالطو مثل بالطو المطر وكذلك قبعات ثم توجهنا الى المصعد الكهربائى فدخلناه وهو عبارة عن صندوق أو دولاب ضيق من الحديد وكنا ثمانية أشخاص وما كاد الباب يغلق حتى تصورت أننا قطع عنا كل وسائط الاتصال سواء بالجرس الكهربائى أو التليفون أو غير ذلك مما سبب عندى حالة عصبية أعقبها ضيق تنفس فطلبت فى الحال بشدة وتلهف أن يسرعوا بفتح الباب لأتخلص وأخرج من هذا القبر قبل نزول المصعد وقد تم ذلك فأسرعوا باجابة طلبى قبل تحرك المصعد الكهربائى للنزول وذلك رغماً عن تطمينهم إياى بما يضمن عدم الجزع تحت سطح الارض فخرجنا ثم ذهبنا لمشاهدة غرفة بها ما يلزم من الاسعافات عند حصول أى حادث خطر وحقيقة انه مما يشهد بحسن النظام ودقة الاحتياط اللازم لحفظ حياة العمال بهذه المناجم ثم رأينا أسطوانة كبيرة الحجم يدور عليها سلك كبير لنزول وصعود المصعد ثم ذهبنا حيث شاهدنا مساكن العبيد العمال وشاهدنا مطبخاً كبيراً به اثنان وثلاثين قزانا لطبخ غذاء العبيد الذى هو عبارة عن أذرة مدشوشة

مع بعض من الخضار ورأينا امرأة زنجية خصيصة لصنع مشروبهم مثل البوظة ويقال أنه من تقاليد العبيد عدم قبولهم البوظة الا اذا صنعت بيد امرأة ،ثم مررنا بغرف نومهم ومستشفى لهم وهو على جانب من النظام وحسن الادارة ، ويعرض عمال العبيد على الطبيب بشكل عيادة طبية حتى اذا ما وجد بأحدهم مرض أو جرح مسبب عن العمل يرسله الى المستشفى وذلك لان العبيد يهملون الاحتياط اللازم لانفسهم وهذا يضر بهم ضررا بليغا ويضعف صحتهم الى حد خطير . ذهبنا بعد ذلك الى منزل مستر والترمدير الادارة لتناول الشاي بدعوة منه وقد دعانا بعد ذلك المستر ايفنس لتناول الغداء في منزله الساعة واحدة بعد الظهر فذهبنا الى اللوكاندة ومن هناك ذهبنا الى منزل السير صامويل ايفنس في الميعاد المحدد فوجدناه منزلا كبيراً ذا رونق وبهاء فعرفنا بزوجته ثم أخذنا مقاعدنا بغرفة المكتبة وبعد برهة حضر المستر والتر وزوجته فدخلنا جميعاً الى غرفة الطعام وكان قد أعد لنا ضمن الطعام صنفا من الارز العجمي وبعد الغداء في الساعة الثانية ونصف رجعنا الى اللوكاندة ثم خرجنا في الساعة الثالثة وربع الى ضواحي المدينة ومن الغريب أن يرى الانسان تلالا من التراب المستخرج من المناجم ويمكن القول بأن الانسان في مدينة جوهانسبرج يمشي على الذهب لانه تحت أرضها

ليس هناك بالضواحي ما يستوجب الاهمية والذكر . يرى الانسان من المرتفعات أن المدينة لا شك كبيرة واسعة . رجعنا الى اللوكاندة في الساعة الخامسة وربع . يوم ١٧ مايو كان الجو ملبدا

بالغيوم التى حجبت الشمس وقد حضر فى الساعة التاسعة صباحا بعض الهنود أحدهم رئيس الجمعية الاسلامية بتلك المدينة ومعه ولده الذى تعلم فى المدرسة السلطانية بالاستانة وهو يجيد اللغة التركية وكان معه رجل اسرائيلى عثمانى وفى الساعة التاسعة ونصف حضر خطيب الجامع وأصله من جاوا وهو يجيد التكلم باللغة العربية ومعه اثنين من تجار الهنود كبيرى السن لابسين عمامة وقد أظهروا جميعاً سرورهم وفرحهم بلقائنا وعرضوا أن يقدموا سيارتهم لخدمتنا مدة اقامتنا بالمدينة وعرضوا أن يدعونا للشاى ولكنى اعتذرت عن قبول ذلك وشكرتهم على جميل احساسهم وبعد انصرافهم نزلنا لنتفقد المحلات التجارية والدكاكين وبعد الظهر توجهنا الى حديقة اسمها جيوبارك من حدائق نزهة المدينة . فى اليوم الثامن عشر صباحا وهو يوم الاحد كان الجو معتدلا وحيث أنه يوم سفرنا من جوهانسبرج الى دربان أمضينا الوقت فى اعداد مهماتنا السفرية وبعد الظهر مررنا لنترك بطاقة الزيارة باسمى لمن أكرمونا بتلك المدينة ولما كان فى الوقت متسع قبل قيام القطار طلبنا من سائق السيارة أن يمر بنا حول ضواحى المدينة فأرانا طريقا أنشئ حديثاً صرف عليه عشرة آلاف جنيه وعلى جانبيه فلات كبيرة جميلة لها بساتين ذات زهور مشرحة ثم مررنا وسط غابة عظيمة من الصنوبر ولولا مشاهدتنا تلك الجهة لظننا أن ليس بهذه المدينة مناظر جميلة تستحق الاعجاب وفى الساعة الثامنة مساء وصلنا المحطة على استعداد للسفر وفى الساعة الثامنة والدقيقة خمسة وأربعين تحرك بنا القطار

يوم ٢٩ مايو صباحا كان الجو معتدلا وأدفأ منه بجوهانسبرج والمناظر لم تتغير فأراضى المرعى واسعة ولحلول فصل الشتاء ترى الارض صفراء اللون لذبول النبات والشجر أما الجبال والتلول ترى من مسافة بعيدة بلون جبل المقطم ، وأول محطة صادفناها تسمى لادى سميث وهى مرتفعة عن سطح البحر بثلاثة آلاف ومائتين أربعة وثمانين قدماً وعدد سكانها ثمانيــة آلاف نصفهم من البيض والنصف الآخر من الزنوج واسم هذه البلدة أطلق عليها نسبة الى اسم سيدة اسبانية كان قد أنقذها من حادثة خطرة من يدعى السير هارى سميث حاكم الكاب ثم أحبها وتزوج بها فصار اسم هذه البلدة تذكاراً لحادثة خطر فنجاة فحب فزواج . اشتهرت هذه البلدة بالمقاومة العنيفة التى أبداها الترنسفاليون فى حربهم ضد الانجليز . ليس هناك ما يستحق الذكر فى طريقنا الى مدينة ماريتزبرج عاصمة الناتال وهى على ارتفاع قدره الفان ومائتان قدم عن سطح البحر ويبلغ عدد سكانها ثمانية عشر الفا وخمس مائة من الجنس الابيض وثلاثة عشر الفا من العبيد وسبعة آلاف وثمانمائة من الهنود وهى ذات منظر جميل بين الاشجار ويوصل اليها طريق مرتفع ومما يستحق الذكر فيها هى دار المحافظة صرف فى انشائها مائة الف جنيها وبها آلة الارغن الموسيقية « Orgue » بلغ تكاليف انشائها عشرة آلاف جنيه وهى فى صالة فسيحة تسع الف وأربعمائة شخصا بحالة الجلوس وبها مكتبة نفيسة تحتوى على قسم من الكتب الفرنسية وآخر للانجليزية وثالث من الكتب الهولاندية ورابع من

الكتب الالمانيـة . بالمدينة هيا كل عديدة والعمل جار لتسيير قطارات السكة الحديدية بالقوة الكهربائية التى ستكون منبعها من هذه المدينة

لمناسبة اجتيازنا الآن بقاعاً تقرب شيئا فشيئا من ساحل البحر نرى الارض منبتة ومغطاة بالاشجار وهى بالنسبة للبقاع الاخرى اكثر سكانا وعمرانا . قبل وصولنا الى مدينـة دوربان مررنا من نحو أربعة سراديب تحت الجبال وهى أول مرة رأينا فيها سردابا بجنوب أفريقيا ، ثم وصلنا فى الساعة السادسة ونصف مساء بفضل عناية الله الى مدينة دوربان التى لها محطة كبيرة فوجدنا مندوب شركة كوك فى انتظارنا بالمحطة فتوجهنا الى فندق مارين أوتيل وهى أكبر فنادق المدينة

دوربان ، ميناء ذات أهمية كبرى وتعد من المدن العظيمة بجنوب أفريقيا يبلغ تعداد سكانها خمسين الفا من الجنس الابيض وستة وثمانين ألفا من العبيد وخمسة وعشرين الفا من الهنود . أسست تلك المدينة سنة ١٨٢٤ حيث اطلق عليها اسم دوربان نسبة الى حاكمها السير بنجامان

قبل ذلك كان اشترى الهولانديون من قبائل الزنوج سنة ١٦٨٥ تلك الميناء لتكون محطا لرحلاتهم البحرية ولـكن تركوها عند ما فقدوا سفناً كثيرة وذلك لعدم ملاءمة الميناء . ثم جاءها فى سنة ١٨٢٣ ضابط انجليزى برتبة ملازم وزار الميناء والجهة المجاورة لها ثم طلب من الحاكم الانجليزى أن يضم تلك الميناء الى الممتلكات الانجليزية وكانت حينذاك تابعة لقبائل عبيد الزولو ولهم رئيس عليهم كأمير أو حاكم يدعى شاكا أشتهر بالقسوة لما كان يعمله فيهم من الاسراف فى

القتل والفتك بهم حتى قل عددهم وهرب كثير منهم بدافع الخوف والارهاب من حاكمهم الطاغية وقد تم فى ذلك الحين اتفاقا بينه وبين الانكليز على أن يدع لهم بمعنى التنازل ثلاثة بلاد وهى دور بان وبلاوف ونقطة أخرى على نهر أمبيلو وفى سنة ١٨٢٨ انتهت أيام ذلك الحاكم الجبار شاكا بأن قتله أخوه دينجان الذى تقلد الحكم بعده وعلى أثر ذلك انضم فريق من أعدائه الى جانب الانكليز فدفع الغيظ هذا الحاكم الجديد الى الانتقام منهم ومحاربتهم والانكليز معا ولكن تغلبت عليه القوة الانجليزية وقهرته تحت قيادة مستر فين الذى استمال اليه كثيراً من العبيد بتلك الجهات حتى اتخذوه رئيسا عليهم ومرجعا لهم ولما بلغ تقدم البوير فى البقاع شمالا الى أن وصلوا حدود الناتال سنة ١٨٣٥ طلبوا من دنجان أن يعطيهم جزءاً من الاراضى فقبل منهم ذلك وتنازل لهم عن أراض طلب منهم نظيرها بأن يعوضوه بقره ومواشيه الكثيرة التى فقدها وسلبت منه فأجاب الترنسفاليون طلبه ولما ذهب مندوبو الترنسفاليين لامضاء الشروط المتفق عليها وتسليم البقر فى حوش كبير غدر بهم ذلك الملك وجعل عبيده يقتلون مندوبى الصلح البالغ عددهم مائة شخص ولم يفلت بحياته من القتل الا واحداً أسرع بابلاغ الخبر المشؤوم الى الترنسفاليين وقد أعجب الملك الجهول بتلك المذبحة الدنيئة وسر بما عمله عبيده وأصدر لهم أمراً بأن يقتلوا كل من صادفوه من الجنس الابيض فقتلوا نحو سمائة بين رجال ونساء وأطفال وقد أطلق على هذه البقعة بعد ذلك اسم وينان ومعناه باللغة الهولاندية دموع

البكاء وذلك اشارة الى الحزن على من قتل من جنسهم

قام بعد ذلك الحادث المريع قسم صغير من البوير واتفق مع القوة الانجليزية المجاورة على الانتقام من هذه القبائل ولكن لما لم تكن قوتهم كافية لتنفيذ غرضهم ولما شعروا بقرب انهزامهم عمدوا الى الهروب العاجل طلبا للنجاة وفى سنة ١٨٣٨ قام اربعمائة من البوير « الترنسفاليين » تحت قيادة المسمى أندريان بيتورياس وفاجأهم بهجوم شديد ابتغاء القضاء على الملك دينجان حاكم العبيد الذى كان تحت قيادته أحد عشر ألف نفسا فقتل من العبيد ثلاثة آلاف وأسر منهم سبعة آلاف أسير وقد جعل هذا اليوم عيداً يحتفل به كل سنة فى ماريتزبورج اذ تقام أيضا الصلاة بالكنيسة التى بنيت لهذا السبب وبعد هذه الضربة القوية انقسم عبيد الزولو الى قسمين قسم مع دينجان السابق الذكر وقسم مع أخيه الصغير الذى طلب من الانجليز والبوير امداداً له ليستعين به على أخيه فأرسلوا اليه أربعمائة مقاتل تحت قيادة بريتورياس وكان مع أخ دينجان الصغير خمسة آلاف مقاتل فهجموا جميعاً على دينجان وكان ذلك فى سنة ١٨٤٠ ففازوا بقتله الذى انتهت به مشاكله وأخذت كل أراضيه وأيضاً نحو ستة وثلاثين الفا من البقر وقام البوير ووضعوا على الاراضى المحتلة علمهم وأطلقوا عليها اسم جمهورية الناتال ولكن الانجليز لم يعترفوا بهذا العمل وأرسلوا مائتين من الجنود الانجليزية لتقوية المعسكر بدوربان ثم حصل خلاف بين الفريقين تخلله بعض مشاكل انتهت فى سنة ١٨٤٣ بأن صارت الناتال

مستعمرة انجليزية وانسحب الترنسفاليون الذين أبوا أن يبقوا تبع السلطة الانجليزية ولذلك ترى أغلب بلاد الناتال يسكنها انجليز أكثر من البوير وفى سنة ١٨٧٩ قام عبيد الزولو مرة أخرى يحاربون الانكليز وفى هذه الواقعة قتل ابن نابليون الثالث وهو البرنس الامبراطورى وكان ضابطا برتبة ملازم بالجيش الانجليزى

وفى سنة ١٩١٠ انضمت الناتال الى حكومة اتحاد جنوب افريقيا

فى يوم ٢٠ مايو كان الهواء يعصف بشدة واستمر المطر أيضا لغاية الساعة العاشرة ونصف ولما هدأ الجو خرجنا للمشى قليلا ثم عدنا وقت الظهر الى اللوكاندة وبعد الغداء ركبنا سيارة ومررنا بداخل المدينة لمشاهدة المبانى الكبيرة والجمرك والميناء فالضواحى

اللوكاندة واقعة على خليج كبير به رصيف صرف على انشائه مبلغ ستين ألفا من الجنيهات وعلى نهاية الرصيف توجد فسقية بوسطها تمثال البحار البرتغالى المشهور ويدعى فاسكودى غاما وهو أول من اكتشف منطقة الكاب والهند عن طريق رأس عشم الخير

المد والجزر فى هذا الخليج بنسبة كبيرة حتى أنه فى وقت الجزر ترى الخليج قد غابت مياهه وظهرت أرصار ملية تمشى عليها الناس والزوارق راسية على الرمال ومدة الجزر ست ساعات يرى فيها الخليج جافا غير صالح للملاحة ولكنهم احتفروا قناة لتساعد على مرور السفن وقت الجزر

الشوارع بتلك المدينة واسعة كما هى فى غيرها من مدن افريقيا الجنوبية . ذهبنا فى سيرنا الى شاطئ البحر حيث توجد حمامات البحر

وفنادق كبيرة ثم مررنا بحدائق عديدة وبمساكن العمال والطبقات الصغيرة ثم توجهنا الى بقعة مرتفعة يسكنها الاغنياء بها منازل ذات رونق وبهاء تحوطها بساتين جميلة وحدائق مزدهرة يانعة ويزيد هذه البقعة جمالا أنها تطل على البحر وبذا توفرت فيها دواعى الانشراح . عند مغادرتنا تلك الجهة مررنا بالفاوريقات المختلفة وهى واقعة بقرب النهر فى طرف المدينة

لاحظنا وجود أفراد من الزنوج فى وظائف البوليس النظامى علاوة على ذلك الموجود من نفس الجنس الابيض . يوجد بالمدينة عربات صغيرة للركوب تسمى ريكشور يجر الواحدة منها زنجى بمفرده وأغلب المحترفين بهذه المهنة عبيد الزولو وهم أقوياء البنية ممتلؤ الجسم معتدلو القامة ومما يستلفت نظر الأجنبى اليهم أنهم فى زى غريب مضحك اذ من عادتهم ان يضعوا على رءوسهم قرون الحيوانات وريش الطيور بالوان مختلفة وعلى ظهورهم جلود الحيوانات وأغلبهم يلونون سيقانهم من الركبة الى القدم بالبوية البيضاء على شكل الجوارب ثم عدنا الى اللوكاندة فى الساعة الخامسة ونصف مساء

يوم ٢٨ مايو كان الجو معتدلا والشمس ساطعة وفى الساعة التاسعة ونصف ذهبنا بالسيارة الى حديقة النباتات فوجدت بها مجموعة من النباتات المختلفة ذات قيمة تذكر ولكنها لم تصل الى حد ما سمعت عنها قبلا . من هناك توجهنا لمشاهدة استحكام قديم « طابية » ثم عدنا الى الفندق الساعة الثانية عشر ونصف وبعد الظهر ركبنا السيارة بقصد

التنزه فمررنا على كوبرى كبير فوق نهر الاونجنى الذى لو لم يكن عليه هذا الكوبرى الكبير لظن الانسان أنه ترعة صغيرة والواقع أن مياهه فى وقت الفيضان تعلو بنسبة عظيمة حتى أنه أغرق بفيضانه ذات مرة اربعمائة من الهنود اكتسحهم من قرب مساكنهم . ثم صعدنا الى مرتفع وسط الاشجار لتناول الشاى فى قهوة صغيرة هناك وكنا قد علمنا بوجود نسانيس بتلك الغابة فأشاروا علينا بأن نشترى بعضاً من الفاكهة لنعطيها للنسانيس على سبيل التسلية فجاء خادم هندى من القهوة ومعه كمية من الموز وصار ينادى النسانيس كما ينادى بعضهم الدجاج فرأينا نحو عشرين من هذه النسانيس اقبلت حولنا لاخذ الفاكهة التى نعطيها لها وقد تعودت على ذلك فلا تهرب من الانسان حتى أنها تقرب لأخذ الفاكهة من أيدينا دون خوف ومما يضحك أن عددا منها انتهز وجود سيارة واقفة بجوارها ولم يكن عليها أحد فانتهز النسانيس فرصة خلوها وفى لحظة واحدة التفوا حولها ثم قفزوا عليها وأخذ كل واحد مقعدا له فكان بعضها على السلم وعلى الزجاج وفوق الموتور وداخل السيارة وبالاختصار احتلوها احتلالا وقتياً لاخذ نصيب من التسلية واللعب كما هو معروف عن هذا الجنس

أثناء عودتنا استلفت السائق نظرنا الى منازل عظيمة أخبرنا أنها لبعض الاغنياء من الهنود ويوجد منهم أيضاً كثيرون يحترفون بحرف صغيرة مثل زراعة الفاكهة والخضار وبيعها وتكاد تكون هذه الحرفة خاصة بهم ثم وصلنا الى الفندق الساعة الخامسة ونصف

فى صبيحة يوم ٢٢ مايو كان الجو معتدلا لطيفاً فذهبنا لزيارة دار الآثار التى فى دار المحافظة حيث يوجد ايضاً دار كتب واخرى للصور والرسومات وفى الساعة الثانية بعد الظهر ركبنا السيارة قصد الرياضة والتنزه على تلال بعيـدة عن المدينة فررنا باطراف المدينة على قسم يسكنه الهنود وقد لاحظنا انهم حقيقة يشتغلون بزراعة اشجار الفاكهة والخضار وكنا نرى المدارس الهندية فى كل قرية نمر بهـا وقد ألفت السائق نظرنا الى منزل من الطوب الاحمر وأخبرنا ان صاحبه شيد بنـاءه بمفرده فى مدة تسع سنوات ولم يشترك معه فى بنائه احد ثم مررنا ببيت صغير يقال أن صاحبته امرأة عجوز بلغت من العمر مائة وتسع سنين حضرت الى دوربان منذ مائة سنة أى من يوم انشاء المدينة

كنا فى سيرنا ننزل فى واد ثم نعلو الى مرتفعات وتلال وكذلك الى أن وصلنا الى تل يسمى تل بوثا حيث أوقفنا السيارة لنمشى قليلا على اقدامنا فرأينا منطقة جبلية ذات تلال متجانبة وتسمى « بالتلال الالف أو الالف تل » وكذلك باقى جهات الناتال كثيرة التلول والوديان

بلغنا فى سيرنا الى نقطة ترتفع عن سطح البحر بمقـدار ٢٦٠٠ قدم وبعد أن رأينا من عاليها تلك المناظر الطبيعية الجميلة رجعنا الى المدينة واثناء عودتنا مررنا بشاطئ البحر حيث كان وقت الغروب فكنا نرى البحر والسماء والرصيف المبلل بميـاه البحر كل ذلك كنا نراه وردى اللون مما يستوقف الأنظار

يوم ٢٣ مايو كان الجو دافئا فنزلنا فى الصباح للمشى قليلا على الاقدام فذهبنا الى محل كوك لنطمئن عن تمام الاستعداد للسفر فى الغد وبعد الظهر فى الساعة الثالثة ذهبنا تجاه دار المحافظة واخترنا عربتين من الريكشور التى يجر الواحدة منها رجل من الزنوج فركبنا الى شاطىء البحر حيث توجد الحمامات واستخرجنا صورتنا الفوتوغرافية ونحن على عربات الريكشور وبعد زهاء الساعة ونصف قفلنا راجعين الى الفندق

فى الساعة العاشرة والنصف صباحاً من يوم ٢٤ مايو ذهبنا الى المحطة سيرا على الاقدام اذ كان لدينا متسع من الوقت ثم قام القطار فى الساعة الحادية عشر والدقيقة عشرين وقد وجدنا بالصدفة ان خدم القطار هم الذين كانوا معنا أثناء سفرنا الى دوربان حيث أن الطريق لغاية باتيلهايم هو عين طريقنا أثناء سفرنا من جوهانسبرج وهناك تتفرع الطريق الى الجنوب بجهة بلومفونتين عاصمة بلاد الاورانج والاراضى بتلك الجهات مسطحة والتلول قليلة جدا وليس بها أشجار لعدم وجود الامطار بقدر الكفاية ولذلك يمتد البصر الى مسافات بعيدة ويفهم من قلة المساكن والقرى بتلك الجهة أنها قليلة السكان

أثناء سيرنا مررنا بضيعة للحكومة تسمى نيوبارى استيتس قد وضعت الحكومة بها عدداً كبيراً من أنواع الغزلان بحالة طبيعية وذلك للمحافظة على بقاء النتاج . ثم مررنا بمحطة تسمى وستمنستر ولما عجبنا لهذا الاسم أفهمنا بعضهم أنها سميت كذلك لوجود ضيعة

« تفتيش » واسعة للدوق أوف وستمنستر يستعملها لتربية البقر والغنم.
وفى الساعة الثانية الاربع مساء وصلنا الى بلوم فونتين وهى ترتفع عن سطح البحر بمقدار ٤٥١٨ قدما وهى مع كونها عاصمة الاورانج نجدها بلدة صغيرة بها من السكان ١٧٨٠٠ من الجنس الابيض و ١٩٢٠٠ من الزنوج وليس لهـا أهمية تاريخية وقد نزح اليها بعض من البوير والهولانديين الذين قدموا من جهات الكاب سنة ١٨٥٢ وبعد ذلك فى سنة ١٨٨٠ ابتدأت البلدة فى الاتساع فشكلوا لها مجلسا بلديا وجعلوها عاصمة الاورانج وليزيدوها أهمية بين المدن الكبرى اعتبروها مركزاً لمحكمة الاستئناف العليا لجميع بلاد جنوب أفريقيا ولم يحصل بها خسائر اثناء الحرب الترنسفالية لان مدافعتها كانت طفيفة ضد الجيش الانكليزى وسقطت فى مدة وجيزة

بعـد هذه المحطة سار القطار فى طريق مستقيم وسط صحراء مغطاة بالاعشاب وبها كثير من الحيوانات ولكن المياه بتلك البقاع قليـلة جدا لدرجة شاقة ويظهر أن تجارة الاصواف من الحيوانات والاغنام رائجة فى تلك الجهات وفى الساعة الخامسة والدقيقة عشرين مساء وصلنا الى مدينة كيمبرلى حيث كان بالمحطة فى انتظارنا نفر من أوتيل سافواى

تلك المدينـة تابعة فى ادارتها لحكومة الكاب وهى على ارتفاع ٤٠١٢ قدما عن سطح البحر ويبلغ عدد سكانهـا ١٨٢٢٥ من الجنس الابيض و ٢١٠٩٥ من العبيد وقد انشئت فى سنة ١٨٧٠ لمناسبة اكتشاف

الماس بأراضيها فأمها كثير من السكان وأخذت فى الاتساع وفى سنة ١٨٩٥ اتصلت بها السكة الحديدية من الكاب

ابتدأ تاريخ وجود الماس هناك بواسطة رجل يسمى أوريللى حيث وصلته قطعة ماس حجمها ٢١ قيراط وربع من رجل هولاندى يجهل قيمتهـا فاشتراها آخر يدعى السير ودهاوس من أوريللى بمبلغ خمسماية جنيه وقد أعطى أوريللى نصف هذه القيمة طوعاً من نفسه الى الرجل الهولاندى بدافع شرف الذمة والضمير ولما علم الهولاندى بالقيمة العظيمة لذلك الجوهر النفيس اشترى من أحد العبيد من قبيلة هتنتوت قطعة ماس تبلغ ثلاثة وثمانين قيراطا ونصف بمبلغ أربعمائة جنيـه ثم باعها بمبلغ أحد عشر الف ومائتين من الجنيهات وهى قطعة شهيرة معروفة اليوم باسم نجمة أفريقيا الجنوبية وهى الآن فى حوزة الكونتيس دادلى وتقدر قيمتها الآن بخمس وعشرين الف من الجنيهات ولما ظهر الماس بكثرة بهـذه الاراضى اختلفت حكومتا الكاب والاورانج الحرة فى أحقية الملكية لهـذه الاراضى لأنها واقعة على الحدود وكان ذلك فى سنة ١٧٧٨ وأخيراً تم الاتفاق بينهما على أن تكون ملكا لحكومة الكاب التى تعطى لحكومة الاورانج تسـعين الف جنيهاً نظير تنازلها نهائياً عنهـا وفى سنتى ١٨٨٢ و ١٨٨٣ وضع قانون مشدد بخصوص الماس لحصر ما يكتشف منـه فأخذت شركة دى بيرس امتياز المناجم فى هذه الجهة ثم أخذت أخيراً امتيـاز الماس بأراضي مستعمرة غرب أفريقيا الالمانية بعد انتهاء الحرب الكبرى

يوجد هذا الجوهر بالاراضى الزرقاء اللون ويوجد هناك بالمناجم خمس فتحات يجرى العمل فى ثلاث منهم واثنتين موقوف العمل فيها الآن وقد نزلوا الى نحو ١٣٠٠ قدم تحت سطح الارض وذلك بمساعدة الآلات الميكانيكية بينما كانوا قديماً يبحثون عن الماس على سطح الارض

يوجد حول منطقة اراضى المنجم اسلاك حديدية شائكة لمنع المرور بتلك الاراضى

فى صبيحة يوم ٢٥ مايو كان الطقس بارداً ولكن الشمس كانت مدفئة وفى الساعة العاشرة صباحا جاء احد رؤساء شركة الماس الى الاوتيل ليصحبنا فى مشاهدة كيفية استخراج الماس فمررنا من بوابة بعد ان ابرز لحارسها ورقة اذن بالمرور وقد رأينا أولا الحجارة المستخرجة من بطن الارض تلقى بين آلات لتكسيرها اذ تجعلها قطعاً بحجم اربع بوصات وبعد غسلها بماء يصب عليها ترسل فى عربات بشكل الصناديق الى آلات أخرى لتكسير تلك القطع بواسطة الضغط فقط حتى تصير قطعا صغيرة وهذا الجهاز من الآلات مصنوع بحساب يسمح لقطع الماس بالمرور دون تلف ثم تنقل تلك الاتربة والحجارة الصغيرة ممزوجة بالماء الى آلات اخرى حيث هناك يمر التراب والحصى ويبقى الماس فيلتقطوه ثم يجمع التراب والحصى ثانياً وينقل الى جهة أخرى بها جهاز يختلف عن الاول وتلك العربات التى تنقل الاتربة الى الفرز مقفولة بمفتاح ويجرها وابور بخارى ويشتغل

ضمن العمال مسجونون من العبيد وكل الآلات مدارة بقوة الكهرباء

ركبنا السيارة بعد مشاهدة هذا الجزء وقصدنا آخر قسم فى المناجم وهو الذى يستخرجون فيه فصوص الماس حيث يميزوها بما لهم من المعرفة والتجربة من باقى المعادن والاحجار العديمة القيمة وعند وصولنا الى هذا القسم استقبلنا رئيس ادارته الذى تعارفنا به ثم أرانا كيف تصل العربات الحديدية المقفلة الى أن تفتح فيفرغ ما بها فى ماسورة كبيرة بها قوة ضاغطة من المياه لرفع الحصى الممزوج بالماء الى أعلا ثم الى ماكينات ينحدر منها الى غربال هزاز غير مثقوب ومدهون بالشحم يهتز بنسبة معتدلة فينحدر الماء بالتراب والحصى ويبقى الماس لثقله ملتصقا بالشحم وهكذا توجد غرابيل أخرى مختلفة للماس الصغير الحجم والكبير منه

قد علمنا أن الشركة تفضل الماس الصغير الحجم لرواجه فى الاسواق ولاقبال التجار عليه لكثرة طلبه واستعماله حتى أنهم يسمونه « خبز مدهون بزبدة » وأما القطع الكبيرة بما أنها غالية الثمن ولا تستعمل الا للزينة فقط عند أهل اليسار والبذخ فقليل طلبها وذلك بعكس القطع الصغيرة التى تطلب بكثرة لانها تستعمل أيضا فى بعض الصناعات وكثير من الحرف قطع مثل الزجاج وقطع الاحجار وتسوية القطع الكبيرة من الماس وغير ذلك . ثم دخلنا غرفة بها رجال فنيون أو اختصاصيون لفرز الماس حسب نوعه وقيمته ولقد بلغ بنا الاعجاب مبلغا عظيما لرؤية هذا العمل الذى يدهش العقول لما وصل

اليه تفنن الانسان فى الاختراع والاتقان حتى جعل هذه الآلات الكثيرة سائرة بنظام دقيق وبترتيب مضبوط لتخرج ما صنعت لاجله بتمام الدقة والسهولة . ذهبنا بعد ذلك لرؤية مساكن العمال من العبيد الذين يبلغ عددهم نحو أربعة آلاف خلاف المسجونين وهذا العدد من العمال له مساكن داخل حوش كبير مربع فى وسطه غرف للنوم وبجانبها مطبخ كبير ومحل لبيع ما يحتاجون اليه من الخارج فيمكثون أربعة أشهر هى مدة الشغل لمن رغب ذلك ويبيتون فى هذه المساكن لانه غير مصرح لهم بالخروج أو الاختلاط بأحد من الخارج وفى نهاية تلك المدة يؤتى بمن جاء دوره للخروج فيكشف عليه الطبيب كشفا دقيقا ثم يعطى مسهلا ويحجز فى غرفة على انفراد تحت المراقبة مدة سبعة أيام حتى يتأكدوا من عدم اخفائه قطعا من الماس فى بطنه أو تحت جلده لانهم وجدوا بعضا من العبيد يقطعون جلد جسمهم ويضعون تحته الماس ثم يخيطون الجلد ثانياً

علمنا أن الشركة محتكرة من الارض ما يبلغ مساحته ١٥٠ ميل مربع حول المدينة وكل قطعة ماس يجدها أى انسان فى هذه المنطقة تعتبر تابعة للشركة والقانون يحتم اليه ايصالها الى الشركة أو لمركز البوليس فان لم يفعل ذلك أو يخفى ما وجده يعاقب عقابا شديدا وأيضا كل من يشترى قطعة ماس من هذا القبيل يسجن سبعة عشر سنة ولرؤساء الشركة شأن عظيم فى تلك المدينة وسلطة واسعة اذ يوجد تحت أمرهم بوليس سرى لهذا الغرض

قد ختمنا زيارتنا للمناجم برؤية أول فتحة وجدت وهى كبيرة وعميقة .

كانت طريقة الحصول على الماس قديماً بواسطة عمال يحفرون فى الارض بمعاولهم وفؤوسهم ليعثروا على هذا الجوهر ولما بلغ الحفر الى عمق ثلاثمائة قدم عن سطح الارض كانت تتساقط الاحجار والاتربة على الاشخاص اثناء عملهم فتحدث لهم اصابات خطرة قد تؤدى الى موت بعضهم ولم يكن وقتئذ للآلات الحديثة التى تسهل العمل وتوجب الاطمئنان وجود فأوقفوا العمل فى هذه البقعة اجتنابا للخطر واشترت الشركة تلك الاراضى لتستأنف فيها العمل بقوة الاختراعات الحديثة فيما بعد .

بعد مشاهدة ما تقدم مررنا بجهة يبنون فيها بيوتاً جديدة للعمال الافرنج وقد رأينا هنالك حديقة كبيرة يبيعون منها أنواع الفاكهة وبها أيضاً كرم من العنب على تكعيبة واحدة مستقيمة يبلغ طولها ميلا أو اكثر وفى الساعة اثنى عشر ونصف ظهراً عدنا الى الفندق .

فى الساعة الثالثة والربع مساء توجهنا الى مكتب ادارة الشركة وصعدنا الى الدور الاول فاستقبلنا أحد الموظفين ليدلنا على مشاهدة ما هنالك فألفت نظرنا الى صور فوتوغرافيه للمناجم منذ حالتها القديمة فى بادئ الامر وكذا الاكواخ الحقيرة التى كان يسكنها العمال من الأهالى الذين يفدون من ديارهم البعيدة للبحث عن الماس نظير قيمة من النقود عن كل قطعة يجدونها من الماس وكان من سوء حظ بعضهم

أن يمكثوا أعواما عديدة يكابدون فيها عناء العمل وبؤس العيش دون أن يعثروا على قطعة من الماس ليأخذوا من الشركة أجرهم اذ لا أجر لاى عامل الا اذا وجد ماساً وبذلك كان بعض هؤلاء الفقراء يعودون بخيبة الامل وبعضهم كان يموت فريسة الفقر والجوع والشقاء

بعد رؤية تلك الصور وغيرها رافقنا هذا الموظف الى باب موصد عليه زرار جرس كهربائى وبدقه فتحت طاقة صغيرة بالباب أطل علينا منها شخص ليتبين القادمين ثم فتح البـاب فدخلنا الى غرفة واسعة استقبلنا بها موظف آخر دلنا على ما بالغرفة وفسر لنا كيفية فرز الماس بحسب قيمته وكان أمامه فى تلك اللحظة كميـة تساوى مائة وأربعين الف جنيها أعدت لارسالها الى انجلترا

عند ما يكثر طلب المـاس يرسلون كل خمسة عشر يوما رسالة واحدة محدودة القيمة وقد أخبرنا أنهم باعوا فى السنة الماضية من جوهر الماس ما قيمته أربعة ملايين من الجنيهات وقد أخبرنا أن الاسهم فى تلك الشركة اعطت من الربح جنيها عن كل سهم قيمته أحد عشر جنيها ثم أرانا الالوان المختلفة فى الماس وقال لنا أن اللون النادر الثمين القيمة هو الماس الذى يشبه لون الـكهرمان القاتم اللون وقد أفهمنا أيضاً عيوب الماس التى تحط من قيمته ثم انصرفنا من هناك ومررنا فى وسط المدينة بمستشفى ثم بتمثال سسل رود على جواده ثم ذهبنا الى جهة تسمى الـكسندر فونتين وقد رأينا فى طريقنا هيكلا عظيما يمثـل الجنود الانكليزية الذين قتلوا فى حرب البوير سنة ١٨٩٠ وأمام الهيكل مدفع

كبير صنعه شخص من مدينة كمبرلى وقدمه هدية للجيش المحارب (الانكليزى)

الكسندر فونتين تبعد ستة أميال ونصف جنوباً من كمبرلى وهى الجهة الوحيدة التى يقصدها الأهالى للفسحة والرياضة أيام الصيف وقد بنت هناك شركة الماس فندقاً عظيما وسط بستان جميل حوله أشجار كبيرة بشكل غابة بديعة . بعد مشاهدة ذلك رجعنا الى المدينة فمررنا بتمثال الملكة فكتوريا وتوجهنا لمشاهدة دار الآثار الصغيرة لتلك المدينة ثم وصلنا الى الفندق

فى يوم ٢٤ مايو صباحاً أعددنا عدة السفر وأخذنا القطار فى الساعة العاشرة والنصف صباحاً وجهة مدينة الكاب وكان الطريق فى أوله يمر من صحراء جرداء أرضها رملية لا يجود عليها المطر الا قليلا فلم نر بها سوى بعض غزلان وقليلا من الطير

ان من يرى تلك القفار الواسعة المجدبة يمكنه أن يقدر الصعوبات والعقبات الطبيعية التى اعترضت الجيوش الانكليزية وما كابدوه من المشاق أثناء حرب الترنسفال قبل انشاء السكة الحديدية واختراع الأتوموبيلات بأنواعها والطيارات التى بفضلها سهل السير والسفر وضمن الاتصال بين أقطار الدنيا

مررنا بالقطار على كوبريين كبيرين على نهرين لم يكن بهما شىء يذكر من الماء أحدهما نهر موديز الذى وقعت بجانبه حروبات كثيرة والآخر نهر الاورانج الذى سميت ولايات الاورانج باسمه ثم وصلنا

فى الليل الى بلد تسمى آر تتفرع منها سكة حديدية الى مستعمرة غرب أفريقيا التى كانت تابعة للالمان قبل الحرب العالمية الكبرى

يوم ٢٥ مايو صباحا كان الجو بارداً واختلفت المناظر عن أمس وكذا الأراضى آهلة بالسكان مغطاة بكثير من أشجار الفاكهة مما يدل على اهتمام الناس بالثروة الزراعية . ثم مررنا بمحطة تولباخ وهى مشهورة بزراعة العنب والنباتات وبكثرة الزهور الجبلية حتى أنه يقام بها فى كل عام معرض توجد فيه أنواع جمة من الزهور

باقترابنا من مدينة الكاب رأينا كثيراً من شجر الصنوبر وقد وصلنا الكاب فى الساعة الحادية عشر ونصف صباحاً حيث كان فى انتظارنا بالمحطة مدير مكتب شركة كوك ومندوبو الفندق فركبنا السيارة وذهبنا الى فندق مونت نيلسون وهو من أكبر فنادق جنوب أفريقيا

نزلنا فى الساعة الثالثة بعد الظهر لنتفقد المدينة سيراً على الاقدام فمررنا من طريق بجانبيه على امتداده أشجار عالية يوصل الى الشارع الكبير المسمى آدرلى استريت فشاهدنا مابه من الحوانيت ومحال التجارة ثم دخلنا الى المحطة (محطة السكة الحديدية) التى بها مثل بعض محطات بلاد المانيا والنمسا اذ يوجد بأفنيتها دكاكين صغيرة فيها بضائع وهى تعلن عن الدكاكين الكبيرة التى بالمدينة وأثناء عودتنا مررنا بحديقة النزهة العمومية فوصلنا الفندق فى الساعة الخامسة مساء

يبلغ تعداد مدينة الكاب مائة واثنى عشر الفاً من البيض أى

الأوروبي الاصل وثلاث وتسعين الفاً وثمانمائة من العبيد والشرقيين وقد ضموا الى المدينة فى سنة ١٩١٣ كثيراً من الضواحى التى حولها حتى صارت مساحة المدينة تسعة وخمسين ميلا مربعاً وهى العاصمة الثانية والعاصمة البرلمانية لحكومات جنوب أفريقيا المتحدة كما أنها أكبر مدينة للعلوم هناك

أول من اكتشف الكاب هم البرتغاليون ولكنهم تركوها بعد أن تشاءموا بقتل حاكم مستعمراتهم الهندية الذى قتل مع بعض رجاله أثناء مروره بها وفى سنة ١٦٥١ أرادت شركة الهند الهولاندية أن تجعل تلك الميناء قاعدة بحرية للمواصلة فى طريقها الى الهند وقد وافقت حكومة هولاندا على ذلك المشروع فأصدرت أمرها الى أحد رجالها المسمى ڤان رى بيك بالسفر الى الكاب لتحقيق المشروع وزودته بثلاث سفن فوصلها فى مائة وأربعة يوماً وهى المدة التى كان يستغرقها السفر عادة الى تلك الناحية فترك بها مائة من رجاله الهولانديين وعاد هو الى هولندا التى علمت حكومتها منه أهميـة تلك الجهة فأرسلته ثانياً ليكون حاكما عليها وليجعلها مستعمرة هولاندية وعند وصوله الى الكاب فى المرة الثانية بدأ عمله بانشاء استحكام منيع للمدافعة براً وبحراً ونصح من معه بالاهتمام بأمر الزراعة لايجاد البقول والخضر والمأكولات وبالاكثار من تربية المواشى النافعة ولما كانت الوحوش منتشرة بكثرة فى الجبال حول تلك الجهة عمل على مطاردتها ليأمن الناس فى أعمالهم ومزارعهم فجعل مكافأة قدرها خمسة وعشرين شلناً لكل عبد يصيد سبعاً واثنى

عشر شلناً لمن يصيد نمراً وعشرة شلنات لمن يصيد ضبعاً وكانت هذه القيمة من المكافأة تعد كثيرة جداً فى ذلك الحين خصوصاً اذا علم للجيل الحاضر أن ڤان ريبك الشهير بصفته حاكما كان يتقاضى من حكومته سبع جنيهات وعشرة شلنات مرتباً شهرياً عن خدمته الجليلة وبذلك تحسن الحال وعم الامان شيئاً فشيئاً واطمأن الناس فى عملهم ثم استحضر العنب من بلاد المانيا وزرعوه بتلك الجهات وكان لهم من أخشاب الاشجار تجارة رابحة ثم شيد مستشفى كبيراً لمعالجة البحارة الذين يذهبون الى الهند ويعودون منها وكان قد شرع هذا الحاكم الشهير فى استحضار المسجونين الصينيين وغيرهم من المستعمرات الهولاندية بجاوه والهند لاستخدامهم فى تشييد الابنية وغيرها الا أنه لم ينجح فى ذلك لاسباب عديدة . وفى سنة ١٦٤٩ ميلادية غرقت بجهة الكاب سفينة كان عليها ٣٥ عائلة فرنسية من البروتستانت الذين فروا الى بلاد الهند للنجاة من المذابح الدينية التى كانت مشتعلة فى فرنسا بين الكاثوليك والبروتستانت فأخذ من نجا من هؤلاء الناس وقبلهم ليتوطنوا بلاد الكاب وبذلك كثر لديه العاملون من الجنس الابيض وفى سنة ١٦٦٢ نقل ڤان ريبك حاكما لجاوه بدلا من الكاب التى جاءها حاكم يسمى جان أوفربيك بعد ثلاث سنوات وقد رأى هذا الحاكم الجديد ضرورة امتلاك شبه الجزيرة الواقعة بجوار الكاب وكان يسكنها قبائل زنوج الهوتنتوت فاتفق معهم على شرائها منهم بقيمة الف وستمائة

جنيهاً ولكنه لم يعطهم سوى قيمة تسع جنيهات واثنى عشر شلناً وتم له امتلاك تلك البقعة

فى سنة ١٦٧٢ ظهرت سطوة فرنسا وقوتها فى عصر ملكها لويس الرابع عشر الذى أرسل اسطولا للفتح والاستعمار ببلاد الهند وقد أزعج ذلك الهولانديين وجعلهم فى خوف من الاعتداء على مستعمراتهم فأرسلوا الى الكاب حاكماً عاماً اسمه چوسكى فوضوا اليه أمر الدفاع والمحافظة عن مستعمراتهم وجعلوا له مرتبا قدره خمسة وعشرين جنيها وكان يوجد بجهة الكاب فى ذلك الحين ستماية من الاوروبيين

جاء بعد ذلك حاكم آخر يسمى ڤاندراشتيل وفى عهده أخذت مدينة الكاب فى الاتساع فأنشأ القسم المسمى اشتللن بوش وخط طرقاً وأنشأ حدائق ومزارع كثيرة وغير ذلك من وسائل العمران حتى بلغت شهرتها أوروبا وقد شجع الزراعة التى أتت بمحصول عظيم فاض عن حاجة الأهالى وكان منه تجارة نافعة . وفى سنة ١٦٨٥ جاء للكاب نحو ثلاثمائة من المهاجرين الفرنسيين وبين سنة ١٦٨٩ و سنة ١٦٩٤ كثر عدد الاهالى فوسعوا المستشفى لأن أغلب البحارة فى طريقهم من الهند كانوا يصابون بالامراض حتى أنه وجدت بعض سفن لم يكن عليها فرد على قيد الحياة ، وقد استحضروا أيضا من أوروبا أنواع الثيران والغنم لتكثير المواشى واستحضروا دود القز لعمل الحرير

فى سنة ١٧١٣ انتشر وباء الجدرى فمات من البيض نحو خمس وعشرين فى المائة من تعدادهم ولكن لحسن حظهم أن اكتسح هذا

الوباء الوفا من العبيد والزنوج فخلت الاراضى المجاورة للكاب واستغلها الاوروبيون لانتاجها والاستفادة منها

استمرت عظمة هولاندا الاستعمارية ومجدها على البحار لغاية سنة ١٧٢٥ حيث بدأ منذ هذا التاريخ مزاحمة الانجليز والفرنسيس لهم بالتجارة فى بلاد الهند وباستعمار بعض البلاد فقل حظ الهولانديين وأخذ مجدهم فى الانحلال وتضاءلت شوكتهم وساءت ادارتهم وانحلت منهم صفات الجد والهمة فأعقب ذلك افلاس شركة الهند الشرقية الهولاندية تلك الشركة العظيمة فى سنة ١٧٨٠ بسبب غرق ١٩ سفينة تجارية وثمانمائة رجل وكمية كبيرة من الذخيرة تقدر بنصف مليون من الجنيهات وكان فى ذلك الحين يوجد بالكاب حاكم أفسد الحكم بالرشوة وأساء التدبير فى ادارته فضاق صدر الاهالى من تلك الحالة سواء كانوا أوروبيين أو عبيداً وقد انتهزت انجلترا من تلك الفوضى فرصة لتحقيق مطامعها فأعلنت حربا على هولاندا وأرسلت أسطولا بحريا وثلاثة آلاف من الجند للاستيلاء على الكاب ولكن ردت تلك الغارة وأرغمت على العدول لانها اصطدمت بقوة حربية بحرية فرنساوية تحت قيادة الاميرال سوفريين الذى كان سبق بالاستيلاء على الكاب وترك بها قوة عسكرية لحمايتها وبقى الفرنسيون بها مدة سنتين الى أن ظهرت عمارة بحرية انجليزية فجأة فى سنة ١٧٩٥ أمام الكاب واستولت عليها عنوة وزاد الانجليز من عمرانها وأسسوا شركات وصرفوا نحو مليون جنيها لتحسين جهات الكاب وأوقفوا تجارة الرقيق ليحببوا اليهم

الاهالى ولـكن فى سنة ١٨٠٢ فى معاهدة اميان عقب انتصار فرنسا على انجلترا اشترطت الاولى على الثانية بتسليم الـكاب لهولاندا حليفة فرنسا فى ذلك الحين وبعـد ذلك عادت انجلترا فى سنة ١٨٠٦ معلنة حربها على هولاندا وأرسلت قوة عسكرية وأسطولا بحرياواحتلت الـكاب ثانياً وقد انهزم أمامهم الهولانديون البالغ عددهم خمسة آلاف ومن ذاك الحين صارت الـكاب انجليزية

نظرت انجلترا فى توسيع تلك المستعمرة فاشترت فى سنة ١٨١٥ ثلاث بلاد من العبيد وهى بيرياس وديجازا واسكيبو بمبلغ قيمته ستة ملايين من الجنيهات وكان يبلغ عدد سكان أهالى الـكاب فى ذلك الحين ٢٦٧٠٠من الاوروبيين و٢٩٠٠٠من الرقيق و١٦٦٥٠ من عبيد الهوتنتوت الذين هم أصل سكان تلك الجهات وصار الانجليز بالتدريج يتقدمون فى تلك الاراضى لضمها اليهم حتى استولوا على بلاد الترنسفال سنة ١٨٧٧ ولـكن ثار هؤلاء ونالوا استقلالهم بثورتهم وكفاحهم سنة ١٨٨١ ثم تغيرت الاحوال والحوادث وانتهت أخيراً بضم الـكاب الى حكومات جنوب أفريقيا المتحدة بما فيها الترنسفال وذلك فى ٣١ مايو سنة ١٩١٠

يوم ٢٩ مايو كان يوم عيد والدكاكين معطلة فاقتصرنا على الفسحة بحديقة الفندق وفى الساعة الثانية بعد الظهر جاء مدير فرع كوك وركب معنا السيارة الى حديقة النباتات الموجودة بكيرستن بوش وهى تبعد ثلث ساعة من الفندق والطرق معمولة بالمـكدام والاسفلت ثم مررنا بغابات من الصنوبر واشجار أخرى قائمة منذ ثلاثمائة سنة والمناظر من

المرتفعات الى الوديان فى زى جميل ورونق مشرح بديع فوصلنا الى الحديقة حيث استقبلنا مديرها وأرانا مجموعة من النباتات والزهور النادرة الوجود وهى خاصة بتلك البلاد أذكر منها شجرة الفضة وهى ذات أوراق بيضاء اذا ما انعكست أشعة الشمس عليها تظهر بلون الفضة الناصعة وبعد أن شاهدنا ما بالحديقة دعانا لتناول الشاى بمنزله القائم فى وسط الحديقة فعرفنا بزوجته وبعد تناول الشاى غادرنا الحديقة فى الساعة الخامسة مساء وفى طريقنا كنا نرى كثيراً من الرجال والنساء والأولاد عائدين من فسحتهم الخلوية بالغابات والجبال

اشتغل فى عمل تلك الطرق المسجونون وهى تعادل أحسن الطرق فى البلاد المتمدنة بأوروبا

يوم ٣٠ مايو صباحا خرجنا للفسحة على الاقدام وذهبنا لمشاهدة الصور بدار الآثار وفى الساعة الثانية بعد الظهر ركبنا سيارة لعمل فسحة حول جبل تابل مونتن فمررنا بجانب شاطئ البحر لغاية سى پوينت وهناك فنادق وڤيلات لطيفة وهذا الطريق يشابه كثيراً الطريق الذى بين مونت كارلو ونيس بفرنسا المعروف بسكة الكورنيش، ثم من نقطة كرجل باى عبرنا الجبل بالسيارة من شاطئ الاتلانتيك لشاطئ الباسفيك الهندى وكانت المناظر جميلة جداً والطريق فى غاية من الراحة ثم مررنا بڤين برج أى جبل الهواء ومررنا أمام جروت أشنور وهى مسكن رئيس وزارة جنوب أفريقيا وهذا الطريق تظله الاشجار العالية القديمة من جانبيه وهو يذكر الانسان بسكة ڤرساى الجميلة

بجوار باريس والحقيقة أن ضواحى مدينة الكاب لها من البهاء والجمال ما يعجب عشاق جمال الطبيعة

بلغنا المدينة قبل غروب الشمس فذهبنا لمشاهدة دار المحافظة القديمة فوجدنا بها مجموعة من الصور القديمة التى أهديت للبلدية من المسيو ميخائيلس وضمنها بعض رسومات هولاندية قديمة وأقدم ما توجد بينها منذ سنة ١٥٨٥ ، ثم ذهبنا لزيارة بيت قديم منذ مائتين وخمسين عاماً به أثاث قديم من المنقولات الفرنسية والهولاندية أهديت من شخص يدعى كوب مان دى فيت ويوجد بينها أشياء نفيسة جداً وأثناء دعوتنا الى الفندق مررنا بدار مجلس النواب وسراى الحاكم العام

يوم ٣١ مايو صباحاً ذهبنا لمشاهدة دار آثار التاريخ الطبيعى والحيوانات وهى رغم صغرها تحتوى على أشياء غريبة مثل أنواع الاسماك والعصافير والحشرات وكلها محنطة ثم عدنا الى الفندق نظراً لكثرة الضباب . فى الساعة الثانية بعد الظهر صفا الجو قليلا وظهرت الشمس فشجعنا ذلك على طلب السيارة لقضاء نزهة طويلة فى شبه جزيرة الكاب فمررنا من طرق جميلة الى احدى الشواطىء التى بها حمامات البحر وهى على بعد خمسة عشر ميلا ونصف من الكاب وقد ضموها للمدينة وبها مكتبة أهديت من أمريكى يدعى كارنيجى وكان الطريق الموصل اليها مفروشا بالاسفلت وبها لوكاندات وڤيلات جميلة ومن الغريب أن مياه بحر الباسفيك الهندى فى تلك النقطة أدفأ من

مياه الاتلانتيكى فى النقطة المقابلة له باثنى عشر درجة . ثم مررنا بفيلا صغيرة ختم فيها سسل رود أيامه وانطفأ فيها سراج حياته ، ولما كان الجو ملائما استمرينا فى طريقنا لغاية سيمونس باى بشبه جزيرة الكاب التى بها خلجان كثيرة لها تاريخ تعرف به وخليج سيمونس باى كان مستودعاً بحرياً للملاحة الهولاندية لملاءمته فى وقت الشتاء ولما ظهرت السفن البخارية كانت تأخذ مؤونتها من هذه الميناء وكان الصيادون الامريكان يلجأون اليها وقت العواصف بالمحيط الجنوبى وقد تنازل مجلس نواب الكاب عن هذا الخليج هدية للبحرية الانجليزية فى سنة ١٨٨٩

مررنا باستحكام على الشاطىء وشاهدنا سفينة حربية انجليزية بالميناء التى يقال أن الحكومة الانجليزية صرفت مليونين وخمسمائة الف جنيهاً لتصليحها ولعمل حوض يكفى لان يسع أكبر دردنوط ومن ضمن هذا المبلغ انشئت اسبتالية أيضاً للبحارة الانجليز وقد عبرنا من هذه النقطة الجبل بالسيارة فنزلنا الى شاطىء الاتلانتيكى بالجهة الاخرى حيث خليج شانجاناباى به تلغراف لاسلكى وقد تقابلنا بكثير من السيارات فى طريقنا ثم رجعنا الى المدينة عن طريق شاطىء البحر الذى مررنا منه بالامس

يوم أول يونيو كان الجو ملبداً بالغمام المظلم والسحب الكثيفة فلم نخرج من الفندق

يوم ٢ يونيو تحسن الجو قليلا ولكن الشمس لم تظهر فذهبنا

الى ادارة كوك لاعداد ما يلزم قبل السفر و بعد الظهر خرجنا ولكن أرغمتنا رداءة الجو على الاسراع بالعودة

يوم ٣ يونيو كان لا يزال الجو على حاله بالامس وجاء مستر باوشر مدير فرع كوك الى الفندق وقدم لنا مستر جراهاميوتا رئيس دفترخانة الحكومة فتعرفنا به ولما له من واسع الاطلاع فى التاريخ وجم الدراية بما فى تلك البلاد صحبنا ليطلعنا على آثار القلعة القديمة الهولاندية فدخلنا من بوابة كبيرة عليها حراس من الجند الى حوش كبير تحوطه مساكن بشكل الثكنات العسكرية القديمة

بدأ بانشاء هذه القلعة فى سنة ١٦٦٦ الهولانديون ولما كان سير العمل بطيئاً اشترك الحاكم باكس وزوجه فى نقل الاحجار وفى العمل تشجيعا للناس فى انشاء هذا الحصن الضرورى لهم وكان ذلك فى سنة ١٦٧٧ وبهمته تم بناؤه فى ثلاث سنوات من هذا التاريخ

يوجد فى واجهة البناء داخل الحوش محل يصعد اليه بسلم من الجانبين كان يستعمل قديماً لا بلاغ الجمهور أوامر الحكومة الصادرة فيدعى الناس بواسطة دق جرس كبير فتتلى عليهم الاوامر ويوجد الآن بهذا المحل غرفة القائد العام وغرف ضباط أركان حرب الحكومة الحالية

بعد ذلك صعدنا من سلم ضيق فى الجدار الى قمة السور فكنا نطل على الخنادق المحيطة بالسور من الخارج ويوجد حول البناء والسور حوش آخر بسور آخر وذلك لتأمين الدفاع بوضع المدافع على السور

الداخلى اذا ما أضاعوا السور الأول وقد رأينا أيضاً غرفة من السجن القديم وغرفة أخرى تحت الارض مظلمة خصيصة لوضع المتهمين فيها وتلك كانت ضمن الطرق المستعملة للحصول على اعتراف المتهم قبل المحاكمة فى العهد القديم

ذهبنا من هناك الى جروت شنور بقرب حديقة النباتات وهو اسم منزل كان لسسل رود الذى بعد أن أقام فيه مدة طويلة اهداه لحكومة اتحاد جنوب افريقيا على شرط أن يكون منزلا لسكنى رئيس كل وزارة حالية مدة اقامة الحكومة بالكاب التى هى العاصمة الثانية لجنوب أفريقيا ويوجد حول المنزل والحديقة أراض واسعة بها كثير من أنواع الحيوانات والغزلان الخاصة بافريقيا الجنوبية وهى متروكة طليقة على حالتها الطبيعية بتلك الضيعة . وهذا المنزل أشبه بدار آثار توجد به مجموعة من أثاثات هولندية قديمة واطباق وقصارى من الصينى والبللور وسجاجيد فارسية قديمة ولقد تفقدنا الغرف التى كان يقيم بها سسل رود واصحابه المشهورون ومما يستحق الذكر منها غرفة المكتبة التى بها كتب مكتوبة بآلة التايبرايتر منقولة من كتب خط يد وتقدر قيمتها بسبعة آلاف جنيه ومما يستلفت النظر بغرفة الاستحمام «الحمام» حوض حمام من حجر الجرانيت الأسود منحوت من قطعة واحدة يبلغ وزنه ثلاثة اطنان وقد أعجبنا بساعات الحائط القديمة التى لاتزال مضبوطة مع قدم عهدها ولقد غادرنا المنزل متحدثين بمحتوياته الثمينة وبهمة صاحبه الفائقة فذهبنا الى الفندق وفى الساعة الثالثة بعد الظهر

نزلنا الى المدينة لشراء بعض كتب ومجلات لنستعين بها على قضاء الوقت في سفر البحر

يوم ٤ يونيو لم نستطع الخروج بسبب الضباب ورطوبة الجو وبعد الظهر ركبنا سيارة حيث ذهبنا الى حديقة النباتات للاستعلام عما تم بشأن ما وعدنا باعطائه لنا من النباتات التي أعجبتنا وأردنا أن نستحضرها لمصرنا العزيزة ثم ذهبنا لرؤية الهيكل العظيم الذي أقيم تذكاراً لسسل رود على قمة عالية يصل اليها الانسان من طريق بأشجار الصنوبر العالية من الجانبين متقابلة أطرافها من أعلا فهي بشكل سقف على امتداد الطريق فرأينا بناء هذا الهيكل منشأ على طراز معبد أكروبول القديم بمدينة أثينا يصعد اليه بسلم واسع في مسافة قليلة وفي نهايته تمثال بصورة سسل رود للنصف الاعلا من الجسم وأمامه من الجانبين تماثيل ثمانيـة سباع في وسطها تمثال رجل عاري الجسم على حصان وهو يقبض على زمامه وهذا التمثال رمز ينطق عن صاحبه بالهمة والنشاط والعبقرية التي قلما تجود بها الطبيعة على كثير من بني الانسان

يطل الرائي من هذا المرتفع على منظر جميل من الوادي في حلته الخضراء كما يرى مياه المحيطين من اليمين واليسار ويقال أن سسل رود تعود أن يجلس في هذا المكان ليمتع ناظريه ويسلي قلبه برؤية تلك المناظر الطبيعية الجميلة التي تشرح الصدور وتحيي النفوس

أثناء عودتنا مررنا أمام جامعين بالمدينة ويقال أن بها سبعة جوامع شادها الجاويون وقد علمنا أن الجاويين بتلك المدينة شرعوا في اقامة

تمثال لرجل يدعى الشيخ يوسف كان زعيما فى بلاده وهو من عائلة ملوكية ينسب الى قبيلة باتتان بجاوه وكان قائداً وقع فى أسر الهولانديين أثناء حربهم التى استولوا فى نهايتها على بلاد جاوه ثم أتوا به أسيراً الى مدينة الكاب فى سنة ١٦٩٠ حيث توفاه الله بها وله فى قلوب المسلمين وعلى الخصوص الجاويين مقام رفيع واحترام عظيم حيث عرف بالتقوى والبركة وهذا التمثال سيكون بشكل مأذنة مكتوب على أحد جوانبها موجز تاريخ حياته وعلى جانب آخر صيغة شكر وتمجيد لهذا الرجل الذى هو أول مسلم أتى بالقرآن وأظهر الاسلام بيلاد الكاب وكان المقرر والمعلوم أن ولى عهد انجلترا كان سيضع أول حجر فى أساس هذا التمثال كتذكار عن زيارته لجنوب أفريقيا هذه السنة ولكن صادف ولى العهد ما أخره عن زيارة جنوب أفريقيا هذا العام فبدأوا فى اقامة التمثال

يوم ٥ يونيو صباحا كان يوجد ضباب رغم ظهور الشمس ساطعة. توجهنا لمحل كوك فأخذنا الباسبورتات ثم عدنا الى الفندق و بعد الظهر ركبنا سيارة وذهبنا لرؤية الباخرة التى سنبحر عليها غداً الى أوروبا فوجدناها كبيرة الحجم تبلغ حمولتها تسعة عشر ألف طناً وبها أربع مداخن فبعد أن شاهدنا الغرف الخاصة بنا وصالة الطعام وباقى الصالونات نزلنا حيث ركبنا السيارة وقضينا فسحة بجانب الرصيف الجديد الجارى انشاؤه على ساحل البحر وفى الساعة الرابعة ونصف عدنا الى الفندق

يوم ٦ يونيو صباحا كان الجو ملبدا بالغيوم فجاءنا مندوب من قبل شركة كوك بعربة منها لاخذ منقولاتنا الى الباخرة فغادرنا الفندق فى الساعة العاشرة صباحا ليسهل لنا الصعود الى الباخرة ولنرتب أشياءنا قبل زحام الناس ثم تناولنا غذاءنا بالباخرة وبعد الظهر ازدحم سطح الباخرة بالمسافرين الذين يبلغ عددهم خمسمائة والمودعين أيضاً الذين يبلغون مثل هذا العدد وفى الساعة الرابعة مساء نزل من الباخرة جمهور المودعين وتحركت الباخرة للسفر ولكبر حجمها وعدم اتساع الميناء جاء رفاصان ليخرجاها من جانب الرصيف الى بوغاز الميناء وكان رصيف الميناء مزدحماً بالمودعين يلوحون بمناديلهم وبأيديهم وكل منهم يدعو لصاحبه أو قريبه بسفر سعيد ولما لم يكن بين المودعين من جاء لوداعنا توكلنا على الله وقلنا نعم المولى ونعم النصير

عند خروجنا من الميناء صادفنا هواء شديد وبحر هائج فأمضينا تلك الليلة بتعب وقلق اذ كانت هذه الباخرة العظيمة تهتز وتعلو وتنخفض بقوة الامواج وعصف الهواء

يوم ٧ يونيو كان الطقس باردا والشمس ساطعة وقد هدأ البحر وسكن الهواء ومضى اليوم على ذلك دون أن نرى شيئاً من البر أو عالما فى البحر

يوم ٨ يونيو مضى اليوم بغيام كثيف وقليل من المطر وقد تقابلنا بباخرة تجارية

يوم ٩ يونيو كان الطقس معتدلا ولكن الباخرة كانت تتمايل بحركة

محسوسة وبعد الظهر تقابلنا بسفينة أخرى

يوم ١٩ يونيو كان الجو لطيفا والطقس دافئا والسفينة لا تزال فى حركة غير هادئة وفى يوم ١١ يونيو كنا على مقربة من منطقة خط الاستواء فابتدأنا نشعر بحرارة الطقس وارتدى الناس ملابساً بيضاء صيفية وفى يوم ١٢ يونيو ازدادت حرارة الطقس وبعد الظهر كنا على مسافة أربع درجات من جنوب خط الاستواء وفى يوم ١٣ كان الحر على حاله وفى الساعة الحادية عشر وربع مررنا بخط الاستواء وتقابلنا بباخرتين فى هذا اليوم وفى المساء كانت على الباخرة حفلة رقص شائقة اشترك فيها كثير من الرجال والسيدات وكان البعض بملابس غريبة قلد بعضهم فيها عرب بغداد فى زيهم والبعض فى زى المغاربة وبعضهم ظهر فى أزياء متنكرة وكذلك السيدات وكان لجوقة الموسيقى فضل فى احياء مثل هذه الليالى وتسلية المسافرين ثم وزعت الجوائز على من ظهر فى زى بديع أو غريب من الرجال والسيدات وكان الطقس مساعدا للسيدات فى ارتداء أخف الملابس وأليقها لمثل تلك الحفلات وذهبت الى غرفة نومى فى الساعة العاشرة مساء

يوم ١٤ يونيو كان جو الصباح رطبا وغشينا قليل من المطر عكس ما كان يعتقده قبطان الباخرة

يوم ١٥ يونيو كان الجو رطباً والبحر هادئا ورأينا نوعاً من السمك الكبير يسمى سمك الشيش يسابق الباخرة فى سيرها

يوم ١٦ كان الجو على حالة ولكن لمجيء الهواء مقابل لنا تحرك

البحر قليـلا وقد مررنا حوالى الساعة الرابعة صباحا بكاب فيرد وفى هذا اليوم تقابلنا بباخرتين وفى يوم ١٧ يونيو كان الجو رطبا والبحر فى حركة محسوسة وفى الساعة الثامنـة صباحاً رأينا جزيرة جوميرا وجبل تينى ريف تبع جزائر كانارى ومررنا بين الجزيرتين فى الساعة الحادية عشر صباحاً وفى يوم ١٩ يونيو الساعة السادسة صباحاً القت الباخرة مرساها فى ميناء فونشال عاصمة جزيرة ماديرا

تلك المدينة بل الجزيرة كلها أيضاً لها منظر جميل من سطح الباخرة فهى عبارة عن جنائن وحدائق تظهر من بينها المساكن والابنية وفى الساعة الثامنة صباحاً جاء مدير الفنـدق على موتوربوت الى الباخرة فركبنا معه حيث ذهبنا الى الفندق

أكتب عن جزيرة ماديرا وصفا عاما متجنبا ذكر كل يوم بيوم . كانت هذه الجزيرة تابعة لعرب الغرب قديما ثم انتقلت الى يد البرتغاليين وظلت تابعة لهم الى الآن وبها مائة ثمانية وستين الفا من السكان وعاصمتها مدينة فونشال وهى ببطن الجبل على ساحل البحر وتمتد قليلا الى جزء من سطح الجبل الذى يحيط بها من الخلف بالحدائق والزهور اما الطرق بالمدينة فمرصوصة بحجارة صغيرة وتوجد عربات خصيصة يجرها البقر والبغال وليس لها عجل وانما تنزلق على قطعتين مستطيلتين من الخشب مصفحتين بالحديد ويوجد أيضاً بالطرق الجبلية حمالون يحمل كل اثنين منهما جهازا من القماش المتين يركب عليه شخص واحد ويحملان ذلك بواسطة خشبـة طويلة اسطوانية ترفع من طرفيها على كتفى الرجلين

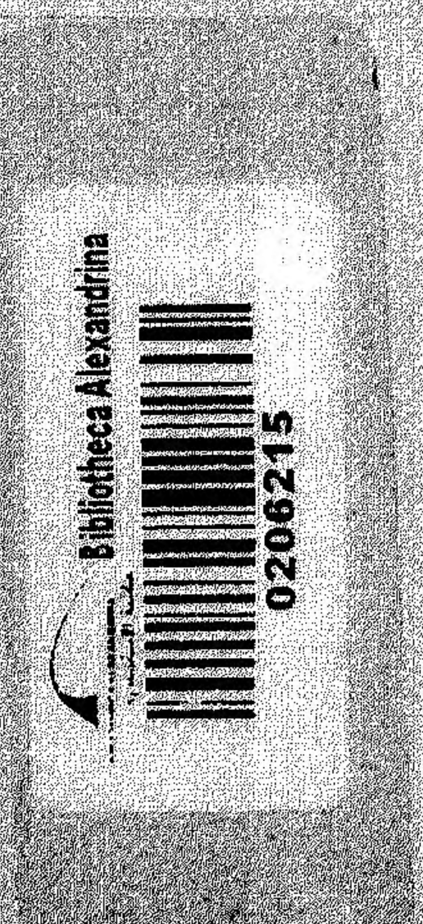
وقد انشأوا بالجزيرة طرقا تصلح للسيارات التى يكثر وجودها شيئاً فشيئاً .

أهالى تلك الجزيرة منهم سبعون فى المائة لا يقرأون ولا يكتبون والصناعة المشهورة بتلك الجزيرة هى صناعة التطريز على الاقمشة وصناعة النبيذ والاشتغال بزراعة الفاكهة ومما يجعل المناظر الطبيعية جميلة جداً وجود الوديان الكبيرة التى تقسم الاراضى الى تلول عديدة وترسم مجاريا عديدة من المياه وأيضاً الشلالات الصغيرة والارض كلها مكسوة بالخضرة فكل منزل له حديقة سيان فى ذلك غنى وفقير ويمتاز بين حدائق الجزيرة ما هو منها لبعض تجار الانجليز الذين هم أغنياء الجزيرة وقد ذهبنا لمشاهدة حديقتين لرئيس أحدى شركات البواخر فأعجبنا نظامها وما حوت من الزهور المختلفة الانواع والاشجار الهرمة وكانت بوجه عام عظيمة الاتساع جميلة الموقع تستحق الأعجاب

الجو بتلك الجزيرة نقى جداً لأنها محاطة بالبحر ومكسوة بالخضرة والاشجار فهواؤها خالص من التراب منعش ولا يختلف فيها الطقس كثيراً بين البرودة والحرارة فى الليل والنهار وكذلك فى الشتاء لا تبلغ درجة الحرارة الى الصفر ولهذا ترى اوراق الاشجار نضرة نظيفة على الدوام ومن الاشياء التى تستحق الذكر بالعاصمة كنيسة قديمة بها سقف من الخشب من صناعة العرب وبها كثير من القناديل القديمة وشمعدانات فضية وهياكل من الخشب المذهب متقونة الصنع قديمة الأثر

كم تصلح تلك الجزيرة لمن أراد الراحة والسكون لانها هادئة

وتكاليف الحياة بها ان لم تكن زهيدة فليست باهظة وبها كثير من الفاكهة وأهلها فقراء متدينون معروفون بسذاجة الطبع والبساطة والهدوء ويكثر نزوح السائحين اليها ما بين شهر سبتمبر لغاية أول شهر ابريل ومن ضمن التسلية الموجودة بالجزيرة للسواح هو كازينو للعب القمار ومرسح تياتروفقط ويسكن بتلك الجزيرة) الآن بجانب الفندق أمبراطورة النمسا الأخيرة فى منزل متوسط الحال بين حديقة واسعة ضمن أملاك صاحب الفندق وهى تعيش عيشة بعيدة عن البذخ والترف والعظمة وقد عرفت بين أهل المدينة بالتعبد حيث تتردد الى الكنيسة وكذلك بالرأفة وعمل الخير مع ما هى عليه من قصر ذات اليد وعسر الحال بعد سقوط العائلة الحاكمة النمساوية عقب الحرب الكبرى اذ علمنا أن هذا المنزل قدمه لها صاحب الفندق بلا مقابل لثرائه ولمحبته بالعائلة الملوكية البرتغالية التى زال حكمها من بلاد البرتغال وكانت لها صلة بالعائلة الامبراطورية النمساوية — ثم غادرنا جزيرة ماديراه على باخرة آتية من أمريكا الجنوبية الى ليسبون عاصمة البورتغال وكذلك انتهت رحلتنا بعد أن مكثنا بماديرا خمسة أيام جعلناها ختاماً لرحلتنا فى جنوب أفريقيا وكانت ختاماحسنا نحمد الله عليه حمداً جزيلا ونرجو أن يوفقنا فيما أعتزمناه من اتمام رحلاتنا فى باقى أقطار الدنيا واكرر له الحمد فى البدء والختام ؟


Bibliotheca Alexandrina
0206215